روايات أحلام

مارغريت ديلي

لا... يا قلب!

WWW.REWITY.COM

مرمورية ٨

روايات أحلام

لا... يا قلب! ـ مارغريت ديلي

ماتت شقيقتها التوأم وتركت لها طفل في شهره الأول. واختارت لورا أن تلغي حياتها وتعيش حياة أختها مرتين: المرة الأولى عندما قررت أن تربي الطفل وكأنه ابنها، والمرة الثانية عندما أتى روبرتو ماسيني ليطالب بابن اخيه المتوفي معتقداً أنها أم الطفل.

وقبلت أن تعيش معهم في قصره في إيطاليا حتى لا ينتزع منها الطفل. لكن إلى متى؟

فهي لن تتحمل انتزاع ابن اختها منها إذا اكتشف الحقيقة، ولن تستطيع احتمال كره روبرتو ماسيني لها إلى ما لانهاية.

وتظل لورا تدور في القصر وتعض على جرحها! أختها المتوفاة هي التي تعيش في الحقيقة، بينما هي بحكم الميتة محكوم على مشاعرها أن تظل حبيسة.

تصدر عن دار الفراشة

١ ـ من أجل الطفل

رائحة القهوة المنعشة استقبلت لورا وهي تدخل الشقة، ودخلت إلى المطبخ حيث صديقتها ليندا بيركنز، كانت تصب لنفسها كوباً من القهوة. ومررت لها الكوب بعد نظرة سريعة إلى وجهها الشاحب.

وقالت لورا شاكرة: «شكراً لك... إنه ما احتاجه بالفعل. فلم أجلس لأرتاح طوال اليوم، ما عدا ما يُسمى بفرصة الغداء». وأجابتها صديقتها «إذاً استرخي الآن. هناك طنجرة طعام في الفرن الآن ولقد حضّرت فطيرة باللحم للغد».

وتنهدت لورا «لست أدري ماذا كنت سأفعل بدونك».

فضحكت ليندا «كنت ستجدين لنفسك صديقة أخرى تشاركك في الشقة» ورفعت لورا رأسها «الأمر أكثر من مشاركة شقة، أنت تشاركيني همومي بوجود جوليو أيضاً. كيف هو الآن؟».

ـ لم اسمع منه صوتاً طوال بعد الظهر.

وبينما هي تتكلم صدر صراخ مرتفع عبر الردهة وبضحكة عالية ركضت لورا إلى غرفة نومها وحملت ابن شقيقتها المنتحب من مهده. وتوقف بكاءه فجأة، وحدقت بها عينان بنيتان لطفل في الشهر السادس من عمره.

ـ انظروا إلى كل هذه الدموع . . . !

ومسحت بأصبعها برقة قطرات دمع تعلقت بأهدابه الطويلة الجميلة . . وتبسم الطفل فوراً، وحضنته لورا إلى صدرها وحملته إلى المطبخ وهي تقول «سيدي جوليو يصرخ ليحصل على طعامه» فقالت ليندا «اعطني إياه وأنا أطعمه».

وأخذت الطفل بين ذراعيها وتابعت «اذهبي واسترخي في مغطس ساخن، ولا تخرجي منه قبل موعد العشاء».

وحاولت لورا عدم إظهار ارتياحها واعطتها الطفل وذهبت لتنفض عنها الإعياء. فثمانية ساعات من العمل المضني تحت الأنوار الحارة في استديو للتصوير جعلتها تشعر بالتعب. كيف تستطيع النساء تدبير أمر منزل وزوج وعائلة، بينما هي يرهقها الآن طفل واحد.

وقالت ليندا لها فيما بعد:

ـ أنت لست معتادة على الروتين المنزلي حتى، وقد أصبحت فجأة مسؤولة عن طفل أيضاً . . .

ـ لم يكن الأمر مفاجئاً، لقد علمت قبل تسعة أشهر . .

ـ ولكن لم تكوني تعرفين أن شقيقتك ماري ستموت وتترك لك أمر رعاية طفلها . . لا تستطيعين الاستمرار هكذا . .

ومرت غيمة من الألم على وجه لورا. قد يكون عليها مواجهة الانهيار لو استمرت بمحاولة التوفيق بين عملها المرهق والطفل. ولم يكن هذا الانهيار بعيداً عنها. ولكنها كانت تَخفي إرهاقها جيداً، وكانت روحها المرحة تعمي معظم الناس عن نحول خديها والبقع الزرقاء تحت عينيها الخضراوين. حتى التعب لم يكن باستطاعته أن يخفي جمال لورا ولا لمعان شعرها الأحمر، عندما تكون في عملها كانت تربطه إلى الخلف، ولكن عندما تكون مرتاحة، تتركه ينسدل بكامل جماله على كتفيها المستديرين.

وقالت لها ليندا: «عليك إما أن تحضري من يعتني بجوليو، او أن تخففي من ضغط العمل. فليس بإمكانك المتابعة هكذا. سأعود أنا إلى عملي بعد اسبوعين. ولن أستطيع مساعدتك حتى لو كانت لدي الرغبة».

ـ أعلم هذا. ولكنني أكره فكرة ترك الطفل مع شخص غريب. مساعدة الأمهات أمر جيد عندما تكون الأم موجودة للمراقبة. وانا لا أستطيع التخفيف من ضغط عملي لأنني بحاجة للمال . .

ـ وماذا ستفعلين إذاً؟

ـ سآخذه معي إلى العمل. ومن الواضح أنني سأرفض بعض المهمات ولكنني واثقة بأنني سأجد عملاً كافياً لي. جوليو لا يشكل عائقاً، وأنت قلتي هذا، وطالما أعطيه نصف ساعة من وقتي لإطعامه، فسيكون سعيداً معي.

ـ ربما . . لشهر أو شهرين، ولكنه سيبدأ بالزحف بعدها، ولن يمكنك إبقاءه في المهد.

ـ سأدبر أمري عندما نصل إلى هذا.

ـ خذي نصيحتي وأجبري عائلة ماسيني أن تدفع مصاريف الرعاية.

ـ لا أريد أية علاقة بهم. عندما أفكر بما فعلوه مع ماري . . .

وغلبها التأثر فتوقفت عن الكلام. وتذكرت كيف بدأت علاقة شقيقتها بجو ليانو وكيف انتهت بهما إلى مأساة.

وقالت لها ليندا «لو أن ماري تزوجت جوليانو! لكان للطفل وضع قوي على الأقل».

ـ وكانوا سيأخذونه مني أيضاً. ولن أتركه يُربى بين هذه العصبة من الارستقراطيين المتعجرفين!

ـ لا تستطيعين لومهم لأنهم لم يستقبلوا ماري بذراعين مفتوحتين.

ـ لم يرحبوا بها على الإطلاق. لأنها كانت تعمل كعارضة أزياء،

حتى أنهم رفضوا رؤيتها. وجوليانو لم يستطع إجبارهم على هذا.

ـ أمر لا يصدق كيف أن بعض الناس لديهم هذه النظرة الضيقة في هذه الايام. هل كان والدا جوليانو كبيرين في السن؟

ـ والده توفي منذ سنوات. والدته وشقيقه، وخاصة شقيقه، من يدير العائلة الآن.

ـ لا أعلم لماذا أطاعهم جوليانو..

ـ عائلة ماسيني من الصقليين، والطاعة أول شيء يتعلمه الأولاد عندهم. ولهذا وقع في غرام ماري. لقد كانت دافئة ومرحة، وأحبا بعضهما كثيراً. وعندما علم جوليانو أن ماري تنتظر طفلاً، قرر أن يتحدى عائلته ويتزوجها...

ـ لو أنه لم يقتل.. لقد كان الحظ السيء ينتظرها.

ـ الحظ السيء كان لي عندما ماتت. لم اكن أصدق أن النساء يمتن أثناء الولادة هذه الايام. كان شيئاً يقرأ عنه المرء، ولا يحدث فعلاً في القرن العشرين.

ـ هل تعتقدين أن لصدمة مقتل جوليانو علاقة بموتها؟

ـ لا أعلم. بعد مقتله أصبحت غير مبالية، كان من الممكن أن تكون الصدمة أخف لو أنه كان في انكلترا، ولكنه قتل في استراليا على بعد آلاف الاميال عنها، ثم سمعت النبأ من الراديو! وأظن أن هذا أفظع جزء في المأساة، ولعلمها أن ليس لديها موقف قانوني...

ـ ولماذا لم تتصل بعائلته لتخبرهم أنها حامل؟

ـ كانت خائفة أن ينتزعوا الطفل منها.

ـ لم يكن بمقدورهم فعل هذا.

ـ لو كانت حية أجل.. ولكن الآن، انت تعرفين القانون الايطالي.. وبموت ماري، لن يكون أمام عائلة ماسيني أية مشكلة في نتزاع جوليو مني..

ـ الكثير من الناس يعتقدون أنه ولدك. كلاكما اختفى عن الانظار لستة أشهر، واعتقد الناس أن ماري ترعاك، بدل أن يكون العكس.

ـ هذا كان أفضل لي.. لن يكون هناك جدال حول طفل من هو!

في الأسابيع التي تلت، نفّذت لورا قرارها بأخذ ابن شقيقتها معها الى العمل. وما عدا التعب الجسدي في حمله معها، استطاعت تدبير أمورها، ولكن بمرور الوقت أصبح يرفض البقاء في مهده. وأراد أن يحبو متجولاً على الارض، وهذا كان مستحيلاً عندما تكون تعمل في الاستديو، والمكان مليء بخطوط الكهرباء، كما كان مستحيلاً أن تلعب معه أو تحمله.

في إحدى المرات، وهي تصوّر عرضاً للأزياء، كانت تحمل الطفل في حجرها بين اللقطات، والموسيقى صاخبة، وتحاول ان تهدئه. واخذت تصيح «اطفئوا هذه الموسيقى عندما تنتهي اللقطة، إنها تدفعني إلى الجنون».

الكاميرا في يد، وباليد الأخرى ازاحت عن وجهها خصلة شعر. واستدارت بقلق بعيداً عن الأضواء. وصرخت ثانية «اطفئوا الموسيقى».

ثم توقفت، وقد شاهدت رجلاً يقف قرب أحد أعمدة الإضاءة. كان منظره لافتاً للنظر، ليس بسبب طوله فقط، بل للوقار الذي كان يبدو عليه، والذي بدا لافتاً في الحركة والضوضاء المحيطان به. إنه ليس محرراً لمجلة ما، وأنزلت يدها إلى جانبها. ربما يكون ممثل شركة إعلانات، او شخص ما له علاقة بشركة الأزياء التي تعمل على تصوير منتجاتها. وركضت بضع خطوات نحو ابن شقيقتها الذي كان لا يزال يصرخ. وحملته بين ذراعيها. وأعطته عناقاً غير متلهف كثيراً لعلمها أنه لا يشكو شيئاً سوى انه غاضب.

وقال الرجل «آنسة ستيوارث؟» وهدهدت الطفل بين ذراعيها

والتفتت لتنظر اليه متسائلة «هل تريدني أنا؟».

وهز رأسه بالإيجاب وبدأ يتكلم، ولكن بسبب صوت الموسيقى لم تستطع سماعه. واقفل فمه ونظر بضيق إلى الغرفة من حوله، وكأنه لا يعلم من أين يأتي الصوت. وصرخت لورا:

ـ اطفئوا آلة التسجيل!

وعلى الفور توقفت الموسيقى. وساد صمت مطبق على الغرفة ولكن سرعان ما بدأت أصوات كؤوس الشراب والحديث. فقالت لورا:

ـ هل أردت التحدث معي؟

وتقدمت نحو الرجل، فقال لها:

ـ آنسة ستيوارت.

ثم نظر ثانية من حوله دون محاولة إخفاء تكدره..

ـ أليس هناك مكان هادىء نستطيع الذهاب إليه؟

ـ هذا أهدأ مكان، ولكن نستطيع الوقوف في الطرف الآخر من الغرفة.

وانتظر إلى أن سارت أمامه، ووصلا إلى آخر الغرفة حيث عدة أعمدة لتعليق الثياب واتكأت عليها معيدة توازن ابن اختها الذي تحمله على وسطها، والذي أحست أنه أصبح ثقيلاً. ثم نظرت إلى الغريب، حتى دون لكنته الغريبة الجذابة لم تكن لتخطىء بأنه ليس انكليزياً، فله شعر أسود ناعم كثيف. جاجباه عريضان مستقيمان فوق عينين جميلتين داكنتين وغير عاديتين.

ولكنهما لم تكونا سوداوين، بل بنيتين دافئتين مع بعض الملون الذهبي فيهما. ملامحه كانت نافرة: أنف كبير، فم مكتنز شفته السفلى سميكة، ذقن مربع بطابع عميق في الوسط. ولكن هذا لم يثر

اهتمامها كثيراً، قدر نظرة النفور التي تساءلت ماذا فعلت لتستحقها. وقالت بنفاد صبر:

ـ حسناً، قل ما تريد. سأبدأ اللقطات بعد دقائق.

ـ اللقطات؟

وأشارت إلى الكاميرا المعلقة حول عنقها، وتبع ابن اخيها حركتها، ومد يده إلى الكاميرا، فقالت «لا.. لن تفعل» وأدارت الكاميرا لتصبح وراء ظهرها، وفتح جوليو فمه باكياً، وقال الرجل:

ـ أرجوك أن تلاطفيه حتى يسكت!

ـ أسكته أنت...

ودفعت بالطفل إليه، ومد يديه الضخمتين ليلتقطه ولكن فم الطفل انفتح بشكل أوسع وتعالى صراخه، ونظر الرجل إليه وصرخ بغضب «اصمت».

وحدّق الطفل به، وعيناه البنيتان الواسعتان مليئتان بالدهشة لنبرة صوته. وحضّرت لورا نفسها للغضب القادم، ولم تنتظر كثيراً، فقد أخذ الطفل نفساً عميقاً، وأخرج صوتاً ارتجت له الجدران، وجفل الرجل، ولم تتمالك نفسها من الضحك. سيعلّمه هذا كيف يتحدث إلى طفل وكأنه يتحدث اليها! ومدت يديها وأخذت الطفل منه، وألقت وجهه على وجهها وهي تهدهده ليصمت. وعندما عاد جوليو إلى الابتسام ثانية، رفعت رأسها لترى أن الرجل كان لا يزال يراقبها. وقالت له:

ـ لا يفيد الصراخ على الأطفال.. فهم لا يحبون هذا.

ـ لا أستطيع الحكم على ما يفضله الأطفال.

ـ إذاً يجب عليك أن لا تقول للناس كيف يتدبرون امرهم معهم.

ـ أنا آسف.

فابتسمت له، وقالت «أنا واثقة أنك لم تأتِ إلى هنا للحديث عن

الطفل.. اذاً..».

ـ ولكنني أتيت لأتحدث عنه. أنا هنا لهذا السبب بالضبط.

وأصابتها الحيرة «أنت هنا بسبب جوليو؟».

ـ الأفضل أن أقدّم نفسي.. لقد اعتقدت أنك تعرفّت علي...

ـ وهل أعرفك؟

ـ لقد تعرّفت عليك ولو أن لونّ شعرك مختلف، في صورك كنت شقراء الشعر.

ـ ولكن هذا وصف شـ... لا يمكن أن تكون.. أنت لست..

ـ روبرتو ماسيني... شقيق جوليانو... وعم هذا الطفل...

☆ ☆ ☆

٢ ـ لعبة لورا!

لم تعد لورا تذكر تماماً ما قالته بعد ذلك، كل ما تذكره أن الرجل أوضح لها رغبته في مقابلتها لوحدها وأنها قد اقترحت عليه آخر الأمر أن يزورها في شقتها عند السابعة مساء.

قبل السابعة بلحظات سمعت دقاً على الباب يعلن عن وصوله، وأسرعت عبر الردهة لتفتح الباب. وعبر روبرتو ماسيني عتبة المنزل، وقد بدا لها أضخم، وأخشن، وأكثر سمرة مما تتذكره. كان واضحاً أنه في طريقه لتناول العشاء، لانه كان يرتديّ بذلة سوداء من الصوف الممتاز مع قميص أبيض وربطة عنق حمراء ضيقة.. لم يكن يشبه شقيقه، لأن جوليانو كان إيطالي الطراز في حبه للألوان، وكان يرتدي الثياب الفاتحة اللون والربطات المشجرة كالحديقة. هذا الرجل لا يشبه جوليانو في كثير من الوجوه بعيداً عن الثياب. ولم تجروء على اظهار تخوفها، لأن ذلك سيضعفها، ولديها إحساس مسبق بأنها ستحتاج إلى كل ما لديها من قوة...

ولكنها أولاً يجب أن تعرف لماذا هو هنا. وعندها فقط ستكشف

www.rewity.com مرموزية

أنها خالة جوليو وليست والدته. مع أنها تعجبت لظنه أنها ماري، فعلى الرغم من أنهما توأمان فقد كانت تعرف أنهما مختلفتان. وفكرّت: «يا إلهي، أنا أفكر وكأنما ماري لا تزال حية، ولكنها ميتة ولا شيء سيعيدها إليّ سوى الطفل. طفلي أنا.. إنه لي...».

وخفضت عينيها وأشارت إلى الرجل بالجلوس. وفعل هذا بكثير من الأناقة، على كرسي عالي الظهر، وكأنه يشير إلى أن مزاجه غير مرتاح. كان أطول من شقيقه، في الواقع أطول من أي ايطالي تعرفه. وبشرته سمراء، ولم يكن له جسد أخيه النحيل أيضاً، فهو أضخم وكأنه ملاكم. وهذا ما أدهشها أكثر، لأنها كانت تظن بأنه ارستقراطي نحيل، وليس له هذه البنية الضخمة مثل «البولدوغ» وأسنان تشابه اسنانه، وسألها وقد لاحظ ابتسامتها «ماذا يدفعك للابتسام؟».

- لا شيء... هل تتناول شيئاً؟

- لا... شكراً.. لقد أتيت إلى هنا للتحدث إليك.

- ألن تمانع لو شربت القهوة بينما تتحدث أنت؟

وهز كتفيه إشارة لعدم اكتراثه وصبت لنفسها كوباً من القهوة.

- أرجوك.. قل ما أتيت لتقوله.. فقد كان يومي طويلاً وأنا تعبة.

- ويومي لم يكن سهلاً ايضاً. فقد كانت رحلتي غير مريحة من روما وأتيت رأساً إلى شقتك لأكتشف أنك لست هنا.

- لا تستطيع لومي لهذا، فأنا لم أكن أعرف أنك قادم.

- من حسن حظي أنني التقيت حارس البناية وعرفت أين أنت. لولا ذلك، لكنت أضعت يوماً كاملاً سدى، على كل اضعت معظم اليوم بانتظار أن تنهي عملك.

- يجب عليّ أن أكسب رزقي سيد ماسيني.

- وهل تقترحين عليّ أن أحجز موعداً للتصوير معك في سبيل أن

أحظى باهتمامك؟

- لا تكن سخيفاً!

- والتصوير هذا، أهو مهنة جديدة لك؟

- عفواً؟

كانت تلعب لاكتساب الوقت، ليست واثقة بعد هل تخبره بأن ماري ماتت أم لا.

- لقد كنت أعرف أنك «عارضة أزياء» فلماذا تعملين الآن بالتصوير؟ ليس السبب لأنك فقدت جمال شكلك.

- أجد التصوير مثير للاهتمام أكثر. ولكن أرجوك قل لماذا أنت هنا؟

ووقف، وتجول ببطء في الغرفة. وبدت الغرفة أصغر حجماً أمام حجمه الضخم، ومن الواضح أنه وجد حجمها مقيِّداً لتحركه، لأنه بعد بضع خطوات عاد إلى مقعده وجلس.

- لقد وصلت أغراض أخي إلى روما في الأسبوع الماضي، اشياءه الشخصية، الرسائل التي كتبتها، ورسالة كان قد أنهى نصفها عندما قتل. ونويت أن أحرقها كلها. ولا أعلم ما دفعني لقراءة بعضها.. ولكن هذا ما فعلت.. ولهذا أنا هنا.

- وما السبب؟

- السبب هو الطفل، ومن غيره؟ لم أكن أعلم أنك كنت تتوقعين طفلاً إلى أن قرأت بعض رسائلك إلى جوليانو قبل مقتله. وهذه بدورها شرحت آخر رسالة لي، كان قد كتب نصفها عندما تلقى مكالمة ليخرج إلى اختبار للقيادة فقتل. وكان قد وضعها ليرسلها لي.. وكنت سأحضر الى هنا لو أنني تسلمتها.

- وفي الوقت الذي كنت ستستلمها سيكون قد مات.

- هذا صحيح.

ـ لا بد إنها رسالة هامة جداً لتدفعك للمجيء إلى هنا.

ـ أجل.. كانت رسالة خاصة جداً. لقد قال إنه قد صمم على أن يتزوجك، حتى ولو أدى ذلك إلى نفور عائلته منه.

ـ ومع ذلك لم أفهم سبب وجودك هنا ـ فلو أنك كنت تحاربه في حياته، فما الذي يدفعك لأن تكون إنسانياً بعد مماته؟

ـ لم أحضر إلى هنا إلا بسبب أن أخي كان يخطط لجعلك زوجته، وأمام الله، كنت زوجته..

ـ كنت تعلم أن جوليانو واقع في الحب قبل أن يُقتل بوقت طويل.. فلماذا انتظرت إلى أن يموت لتصدقه؟

ـ لأنك لست المرأة الاولى التي أغرم بها. كان غير مستقر في علاقاته، وعندما أخبرنا عنك، لم نصدق بأنها ستكون علاقة أكثر ثباتاً من العلاقات الأخرى.

وارتشفت لورا بعضاً من قهوتها، هي أيضاً لم تكن واثقة من دوام هذه العلاقة. وغالباً ما كانت تعارض علاقتهما في الأشهر الستة الأولى. ولكنها بعد ذلك، وبعد أن ازداد حبهما بمرور الوقت بدل أن يتلاشى، صدّقت ما قاله بأنه قد وجد في ماري المرأة التي حلم بها. رسالته الأخيرة قبل يوم من وفاته، بعد أن علم بأمر الطفل هي التي جعلت ماري تصبر خلال الستة أشهر التي تلت حملها.

ـ لا زلت غير متأكدة من سبب وجودك هنا.

ـ أنا هنا بسبب طفل جوليانو. وهذا يذكرني.. ما هو؟

ـ إنه طفل..

ـ اعلم هذا، هل هو ذكر أم أنثى؟

ـ انظر بنفسك.. أعلم أنك تفضل هذا بدل تصديق كلامي!

ونظر إليها نظرة جعلتها تحمّر خجلاً، وتندم لخشونتها.

ـ إنه صبي...

وكأنما سمعهما الطفل فبدأ بالبكاء. فسألها الرجل:

ـ ألم ينم بعد؟

ـ كان يجب أن ينام.. ولكنه قلق في هذه الأيام.

ـ نظراً لطراز معيشته، لست مندهشاً.

ـ إنه يتمتع بخروجه معي ولقاء الناس.

ـ لقد بدا عليه التمتع كثيراً بعد ظهر هذا اليوم! اعتقد أن الاطفال يعبرون عن سرورهم بالاحمرار والبكاء، كما يفعل الآن..

ـ إن اسنانه تبرز، لذا فهو متألم.

ـ ألا تستطيعين فعل شيء لمنعه من البكاء؟

قال هذا بغضب جعلها تندفع إلى غرفتها وتحمل ابن شقيقتها بين ذراعيها. وكان لا يزال يبكي عندما دخلت به إلى غرفة الجلوس وسارت رأساً نحو الرجل، وناولته الطفل. هذه المرة كان مستعداً وحمله بشهية جعلتها تتساءل عما إذا كان لديه أطفال هو الأخر. ولم يكن جوليانو قد ذكر هذا، ولم يكن قد نفى كذلك.

وشعر جوليو أن ذراعين غريبتين تحملانه، فأخذ يبكي بصوت أعلى، فرفعه روبرتو ماسيني عالياً فوق رأسه، وهزه ملاعباً وعلى الفور ضحك الصبي، وأملت لورا أن لا يختار هذه اللحظة ليستفرغ. فقالت بعجلة:

ـ لن أفعل هذا لو كنت مكانك، فلم يمض عليه وقت طويل منذ تناوله العشاء.

وأنزله الرجل فوراً إلى مستوى وجهه، وحدّقت لورا بالوجهين: إلى انف الطفل وأنف الرجل، الى الفكين، الى العينين المتماثلتين: بنيتان كبيرتان، وخطوط ذهبية في عمقهما وفوقهما رموش طويلة معكوفة، وضاقت عينا الرجل وهما تنظران إلى عيني الطفل، وافتر الفم الكبير المكتنز عن ابتسامة، وسأل بنعومة:

ـ ما اسمه؟

ـ جوليو..

ـ كان يجب أن يكون جوليانو. إنه يشبه أبيه. لدينا صور لأخي في نفس العمر، وهما متماثلان تماماً.

ـ وهذا ما يجب أن يوقف شكك بأبوته.

ـ لم يكن هناك أي تساؤل من هذا النوع أبداً، آنسة ستيوارت فالشك ليس من أخلاقنا، شكنا كان فقط في استمرار حب جوليانو لك.

مرة أخرى أمامها الآن فرصة لتخبره بأنه يشير إلى شقيقتها، ولكنها مرة أخرى تراجعت مصممة على معرفة لماذا أتى الى هنا.

ـ ماذا تريد؟

ـ الطفل.. أريد أن آخذه إلى ايطاليا وأربيه كابن.

ـ انا قادرة تماماً على العناية بمستقبل جوليو بنفسي...

ـ ربما تكونين قادرة. ولكن شأن الطفل من خصوصياتي، إنه واحد من عائلة ماسيني، ويجب أن يُربى بصورة لائقة..

ـ وإذا لم أسمح لك؟

ـ لا تستطيعين منعي.. فعلى الرغم من ولادة الطفل هنا، إلا أنه يأخذ جنسية والده!.

ـ لم يكن والده! أم أنك نسيت أن جوليانو قُتل قبل عودته إلى هنا ليتزوجني؟

وضاقت عينا الرجل، كما تضيق عينا القط المتربص بصيده.

ـ يهمني أن أرى وثيقة ولادة الطفل.. هل سجّلت اسم الوالد على أنه مجهول؟

وشحب وجه لورا، كان عليها ان تدرك بأنه سيخمن أن اسم جوليانو على وثيقة الولادة، وقال الرجل:

ـ أرأيت؟ لقد سجلت قانونياً أن جوليو هو ابن أبيه. وستجدين أن المحكمة البريطانية ستؤيد حقي بأن أربيه حسب جنسيته.

ـ إنه نصف انكليزي.. ولن أدعك تأخذه مني. سأقاومك بقدر ما أستطيع..

ـ ستكون حماقة أن تفعلي، على كل، ما نوع الحياة التي تستطيعين توفيرها للولد؟

ـ أستطيع أن أوفر له الحب، وهذا أكثر مما تستطيع أن تفعله!

وبرزت الأسنان البيضاء بطريقة لا يمكن وصفها إلا بالزمجرة:

ـ أؤكد لك أن جوليو لن ينقصه الحب في منزلي. لقد أعددنا له جناحاً خاصاً له و...

ـ وهل كنت واثقاً أنك ستأخذه معك؟

ـ إذا لم آخذه هذه المرة فسيكون هذا في المرة القادمة.

ـ لا.. إنه لي!

وانتزعت الطفل من بين يديه والصقته بصدرها، وجعلته هذه الحركة المفاجئة يبكي إلا أنها ربتت على ظهره بيدين مرتجفتين فسكت:

ـ لن أدعك تأخذه.. إنه لي... هو كل ما أملك.. إنه رباطي الوحيد مع...

كانت على وشك أن تقول إنه رباطها الوحيد مع شقيقتها التؤام، ولكنها لم تجرؤ على فضح أمرها. لو عرف روبرتو ماسيني أنها ليست سوى خالة جوليو فلن يتردد بأخذه منها الليلة، وهذا يجب أن لا يحدث. إنها تحب جوليو وكأنه ابنها تماماً. وواقعاً ممكن أن يكون لأن الروابط بينها وبين ماري كانت فريدة من نوعها لتوأمين متماثلين..

ـ سأفعل المستحيل للاحتفاظ به. حتى ولو كلفني هذا كل قرش أملكه.

- كل الظروف ضدك آنسة ستيوارث.. كوني متعقلة واستسلمي.. ولن نمنعك عن الطفل.

- وماذا يعني هذا لأم؟ أريد أن يربى جوليو معي. ليحصل على حب امرأة تهتم بأمره.. وليس حب امرأة يُدفع لها راتب لهذا!

- لن يحتاج الطفل إلى حب أنثوي، فلديه حب جدته، وعندما أتزوج أنا، سيحظى بحب زوجتي.. وكما آمل.. حب الأطفال الآخرين الذين سينظر اليهم كأشقاء وشقيقات.

بأي سهولة يستطيع هذا الرجل أن يقلل من مستوى منطقه البارد؟ ولكنها لم تستطع أن تنسى العواطف، وفكرّت بالكفاح المرير خلال الثمانية أشهر التي مرت والتي تطلبت كل قواها للعناية بابن أختها، هذا إذا لم تذكر الستة أشهر الأخيرة من عمر اختها، عندما فقدت الرغبة في الحياة، لو أن عائلة جوليو تقدمت لها في تلك الأثناء، بحبهم وتفهمهم، لكان حزن ماري قد خف، وكان من الممكن ان تكون حية الآن. ولكنها كا[illegible] تعتقد أنهم يكرهونها، وهذا ما أضاف حملاً على عقدة الذنب التي تملكتها لموته.

ورفعت لورا يدها لتلمس رأس الطفل، بشعره الأسود الحريري المسترسل، المماثل للون شعر أبيه، ونعومة شعر أمه. أن تترك ابن شقيقتها ليربى كواحد من عائلة ماسيني، سيكون بمثابة خيانة لذكرى شقيقتها.. ولكن كيف لها أن تحارب مثل هذه القوة والثراء؟ ونظرت إلى الرجل الذي أمامها، وهي ترى التعبير المترفع في وجهه. إنه رجل متفاخر، وهذا ما هو واضح عند النظر إليه، وراء هذا الفخر لا بد أن له نقطة ضعف. وبالتأكيد تستطيع أن تهاجمه من هذه النقطة! ولكن لتفعل هذا يجب أن تثبت اعتقاده بأنها والدة جوليو.

وهكذا، ودون تفكير، اندفعت للقول:

- إذا أخذتني للقضاء لتحصل على جوليو.. سأبيع قصة حبي

لجوليانو لإحدى الصحف وستنشر هذه بالخط العريض «موديل فنانة تُحرم من رعاية طفلها».. وأستطيع من الآن رؤية هذه العناوين!

وقفز الرجل واقفاً على قدميه واهتزت الكرسي من خلفه.

- لن تفعلي هذا من أجل ذكرى شقيقي؟

- سأفعل أي شيء لأحتفظ بطفلي!

وحدّق بها الرجل غاضباً كالعاصفة. وشحن الصمت بينهما بالمشاعر، وعلمت أن كلمة واحدة منها قد تفجر الموقف. لهذا فقد انتظرت بهدوء، وأعطته الوقت ليقرر كيفية التعاطي مع الوضع الذي يهدد بالانفجار بين يديه، بشكل أفضل، كم كان يظن بصورة اكيدة أنه يسيطر على كل شيء... وكم استطاعت بذكاء أن تقلب الطاولة في وجهه. ولكن ذكاءها ألزمها بأن تعيش في أكذوبة. ومع ذلك، فلو استطاعت إقناع روبرتو ماسيني بأنها لا تمزح في تهديدها فقد يعود إلى ايطاليا ويتركها بسلام.

- انت امرأة ذكية آنسة ستيوارث.. أكثر مما تشير إليه رسائلك.

- لم أكن أعلم أنك قرأتها كلها!

- لم أقرأها كلها، ولكن ما يكفي لأعرف أنك في الحقيقة شخص مختلف تماماً..

- أنا لا أريد تشويه اسم جوليانو... ولكنني سأفعل أي شيء حتى لا أسمح لك بأخذ جوليو مني..

- لن أسمح له أبداً أن يُربى هنا.

- عندها سا...

- دعني أنهي كلامي. ولن أسمح لك بتشويه اسم جوليانو كما تهددين.. ولهذا السبب، أنا مستعد للتوصل إلى اتفاق معك.

- وما هو الاتفاق؟

- بأن يُربى الطفل في منزل أبيه، وأن يكون المنزل منزلك أيضاً.. طوال المدة التي ترغبين بها. وإذا قررت العودة إلى انكلترا، سأتأكد

من حصولك على المال الكافي لتعيشي هنا وكأنك أرملة أخي الشرعية. ولكن حتى تقرري هذا.. اعتبري قصر بلازا وكأنه منزلك.

كان هذا عرضاً لم تتنبأ به أبداً، ومع ذلك فهو يبدو الحل المثالي. كانت تعلم أن هناك العديد من العوائق أمامه.. وتابع قوله:

ـ لن أتوقع منك رداً الآن.. ولكنني أقترح أن نجتمع غداً لبحث الأمر.

ـ وإذا رفضت؟

ـ لو أنك أحببت أخي كما تشير رسائلك فلن تعارضي أن يُربى ابنه بطريقة كان سيتمناها.. سأعود إلى هنا في نفس الوقت غداً مساءً.. وأقترح أن نخرج للعشاء معاً حيث نستطيع الحديث دون أن يقاطعنا الطفل.

ـ هذا إذا استطعت الحصول على من يبقى معه.

ـ أنا واثق أنك تستطيعين تدبير هذا.

وبعد أن أغلقت الباب وراءه انهارت على الكرسي الذي كان يشغله، كم هو رجل فظيع وعنيد! وأحست بالقبضة الصغيرة على عنقها، فضمت جولبو إليها قائلة: «هيا إلى الفراش أيها الولد».

بعد ذلك، ذهبت إلى المطبخ لتعدّ بعض الطعام، وهي تفكر بالوضع. لو أنها ماري، لخاطرت ودخلت إلى المحكمة وقاتلت من أجل ابنها. ولكن بما أنها خالة الصبي فإن وضعها يائس. فليس هناك محكمة ستحكم بأن يربى الصبي بين يدي خالة عزباء عاملة بينما بالإمكان أن ترعاه عائلته الثرية المعروفة.

وأخذت تضرب البيض لتخفقه، وكأنها تضرب على رأس روبرتو ماسيني، ودلقت الخليط في المقلاة، فأخذ يغلي كما يغلي غضبها.

لم يكن أمامها أي خيار... لذا لا شيء يدعو للتفكير.. يجب أن تقبل العرض... أرضيت أم لم ترضى.

٣ ـ وجهاً لوجه

وصلت ليندا إلى الشقة قبل ساعتين من موعد لقاء لورا مع روبرتو ماسيني، وبينما كانت لورا تطلي أظافرها وتسرّح شعرها أخبرت صديقتها بكل ما حدث.

لم تكن تشعر بالسرور وهي تدخل الفندق مع مضيفها بعد ساعتين من حديثها مع ليندا. وقال لها دون أن يبتسم:

ـ سنتناول شيئاً من الشراب قبل العشاء على طاولتنا، فالمقهى يغص بالناس.

وقادها نحو المطعم إلى طاولة منزوية عند طرف غرفة الطعام. ولم تكن قد دخلت ذلك المكان من قبل، وتطلعت من حولها باهتمام معجبة بالفخامة والديكور الجميل من حولها.

وتناول لائحة الطعام، وأشار إليها أن تفعل مثله، لم تكن تتوقع أن تتناول طعام العشاء مع شخص يحييها وكأنها حشرة انسلت من تحت حجر، بدل أن تتناول العشاء هذا مع شخص يرغب فعلاً أن يكون معها. ورتبت أطراف ثوبها وأخرجت قدميها قليلاً من الحذاء. لقد تعمدت أن تلبس حذاء عالي الكعب كثيراً كي لا تبدو قصيرة أمامه،

www.rewity.com

ومع ذلك فقد بدا متفوقاً عليها ليس بسبب طوله، بل بسبب عرض كتفيه وصدره. وبدا كأنه تمثال لمايكل انجلو كما يبدو عادة كثيف البنية بعضلات ضخمة ورأس كبير وقوي، وشعر كثيف. من الواضح أنه رجل لا يمكن التلاعب معه. ولا عجب أن جوليانو كان دائماً يتجنب غضبه! وقال روبرتو بعد أن طلب الطعام:

ـ حسناً آنسة ستيوارث.. ما هو قرارك؟ ستحاربيني أم نتفق؟

ـ لم تعرض علي اتفاقاً سيد ماسيني.. لقد وضعتني أمام خيارين غير سعيدين. وقد قررت الخيار الذي لا يُشوِّه سمعة جوليانو...

ـ أنا سعيد لقرارك الحكيم هذا.. ولن تندمي عليه. وأنا واثق من هذا.

ـ أتصور أنك واثق من كل شيء تفعله.

ـ لولا وثوقي من صحة أحكامي لما كنت في مركزي كما أنا الآن.

ـ رئيس شركة «ماسيني موتورز» ليس بالمركز العادي لارستقراطي مثلك.

ـ إذاً أنت تعرفين أن لديّ عمل.. هل تعارضين الألقاب من حيث المبدأ أم كنت مجرد فظة حتى لا تستعملي لقبي...؟

ـ لقد كنت فظة...

وبدا عليه الإجفال. ثم ضحك بصوت غير متوقع، ونظر إليهما الناس عند الطاولة المجاورة وابتسموا.

ـ آه.. لقد فهمت.. يجب عليّ أن أكون منتبهاً لصراحتك الزائدة آنسة ستيوارث.

ـ لا أرى أن بمقدورك احترام آراء أي كان.

ـ بالنسبة للقاء واحد فقد توصلت إلى العديد من الاستنتاجات عني.

ـ لا تنسى أنني أعرفك عبر أخيك.

وعلى الفور غادرت الابتسامة وجهه وحل مكانها تعبير لم تستطع معرفة كنهه، أهو الحنان أم الألم.

ـ أنا واثق أن جوليانو كان يتكلم عني باستمرار، لم نكن نشاهد بعضنا كثيراً. ولكن كان هناك ترابط كبير بيننا. لم نكن نختلف سوى بخصوص النساء في حياته.. كان هناك العديد منهن.

ـ لم يخبىء جوليانو ماضيه عني.

ـ ليس أكثر مما خبئت ماضيك عنه.

وعضّت على شفتها، غير متأكدة مما يعنيه، ولكنها تذكرت صراحة شقيقتها فقالت:

ـ في مهنتي أجتمع بالعديد من الرجال. ومعظمهم يحاول التودد. ولكن تتعلم المرأة عندها كيف توقفهم عند حدهم.

ـ ليس كلهم.. كما أذكر.

ـ لم يعني أحد منهم لي شيئاً إلى أن التقيت بجوليانو. ولكنني أفضل عدم الحديث عنه. إذا لم تمانع.. فهذا يؤلمني..

ـ آسف.. ولكن اعذريني إذا وجدت صعوبة بتصديق واقعية علاقتكما.

ـ لا حق لك بأن تقول هذا!

ـ لقد خرجت مع رجل آخر بعد ثلاثة أشهر من معرفتك بأخي.

والتقطت لورا أنفاسها، لقد نسيت تماماً هذه الواقعة في حياة شقيقتها التوأم. فكل ما تذكره الآن هو الستة أشهر الأخيرة من حملها وحياتها. وحاولت أن تتذكر ماذا قالت لها ماري عن هذه الحادثة، لتستطيع رد تلك النظرة الساخرة التي كان يرمقها بها هذا الرجل الغريب.

ـ لم أكن أعلم... كم كان جوليانو جاداً بعلاقته معي... لذا...

- وفري حججك.. إنها كلها من الماضي..

ومن تعبير كبت النفس والاحتقار الذي بدا على وجهه علمت بأن ما قاله غير حقيقي... وسألها روبرتو ماسيني فجأة:

- بماذا تفكرين؟

- أفكر بالطفل، إنه يمسك أذنه دائماً عندما يرضع إبهامه.

- حقاً؟

وأدركت سخافة قولها، وابتسمت معتذرة..

وقُدم لهما الطعام، وقطع روبرتو قطعة اللحم قبل أن يتناولها بالشوكة لوحدها. وقال شارحاً:

- إنها عادة اكتسبتها من أميركا.. لقد عشت وعملت هناك لخمس سنوات عندما كان أبي على قيد الحياة.

- منذ متى توفي؟

- منذ ثماني سنوات.. ألم يقل لك جوليانو؟

وهزّت رأسها، وتمنت لو أنها تتذكر اكثر كل ما أخبرتها ماري عن جوليانو.

- لم نتكلم معاً عن عائلته..

- ولكنك تعرفين كل شيء عنه، وعن عائلته.

كان معنى كلماته واضحاً فقالت بغضب:

- لم آخذ من شقيقك مالاً أبداً. ولا قرش واحد، وليس هذا بسبب أنه لم يعرض عليّ.

- أعرف هذا فشقيقي كان كريماً.. ولكن لماذا لم تقبلي شيئاً منه؟

- كان لديّ عملي الخاص، وأكسب أكثر من احتياجي..

- إلى أن حملت وتوقفت عن العمل. وعندها توفي أخي ولم يعد يساعدك. من المؤسف أنك لم تكتبي لي آنسة ستيوارث.

- أستطيع أن اتصور ردك!

- صحيح. ولكن كنت عوضت عليك حالما وصلت أغراض جوليانو.

رسالته غير المكتملة لي كانت الأقرب لشرح مشاعره نحوك، وهذا ما جعلني أدرك كم كنا بعيدان عن بعضنا في آخر سنة من عمره.. منذ أن التقى بك في الواقع.

- تعني منذ أن رفضت التصديق بأن حبنا حقيقي..

- أجل.. لقد أخطأت بأن لم اقابلك عندما توسل إليّ لأفعل...

- وما رأيك بي بعد أن قابلتني؟

- إنك تختلفين عما توقعت.. مثلاً شعرك أحمر بدل أن يكون أشقر.

- لقد صبغته..

- من أشقر إلى أحمر أم بالعكس؟

- أترك لك أن تخمن.

- ولكنني لست في وضع يسمح لي بمعرفة إذا كنت على حق أم لا. وعلمت لورا أنه يختبرها. هل يظن أنها فتاة طائشة قد تحول عواطفها من شقيق إلى الآخر؟ ثم تابع كلامه:

- أنت مختلفة بطرق أخرى أيضاً، فطباعك ليست كما وصفها جوليانو.

هذه ثاني مرة يقول إنها مختلفة فسألته أن يشرح لها ما يعني.

- لقد قال جوليانو إنك مرحة ولطيفة وإنه لم يتشاجر معك قط.

وتذكرت ما قاله جوليانو مرة عن أمه الارستقراطية، فقالت:

- على عكسك أنت وأمك.

- اخشى أن يكون هذا كلام الطفل جوليانو. لقد ولد في حياتهما المتأخرة وكانا يميلان إلى حمايته كثيراً.

- لقد استخدم كلمة «مسيطر» للإشارة إليك خاصة، وإليهما.

ـ إذا لم يكن أحد يوافق أخي حول شيء كان يقول عنه إنه يحاول السيطرة عليه. ولهذا وقع في حبك. كان رائعاً منك ما مثلتيه عليه.

ـ اية تمثيلية؟

ـ أن تكوني لطيفة ومسالمة. أنت أذكى من أن تحاولي تمثيل هذا عليّ.. لكنت كشفتك على الفور.

ـ أنا واثقة أنه لا يوجد أحد يستطيع خداعك.

ـ الرجل تخدعه الامرأة عندما يكون واقعاً في حبها، أتساءل فيما لو كنت قادرة على الاستمرار بخداع أخي؟

ـ أتشير إلى أنه كان سيتوقف عن حبي؟

ـ أنت شديدة الملاحظة آنسة ستيوارت.

ـ وانت مهين!

ـ أبداً.. دون شك أنت لست من النوع السهل الانقياد.

ـ لقد عاملني جوليانو بشكل يختلف عن معاملتك لي.. فانا ارد بحدة عندما أصبح غاضبة.

ـ لم الاحظ أنك غضبت مني.

ـ لقد هددتني بأخذ طفلي، ألا تظن أن هذا يكفي لإغضاب امرأة؟

ـ أتمنى أن تأتي معي إلى ايطاليا آنسة ستيوارت. سأسافر يوم الأحد.

ـ لن أتمكن من السفر في هذه المدة القصيرة.. يجب أن أرتب أموري: الشقة، وعملي..

ـ الشقة مؤجرة.. أما بالنسبة لعملك، أعطهم إنذاراً بترك العمل.

ـ أنا لا أعمل لحساب أحد أيها الكونت، فأنا مصوِّرة حرة.

ـ هذا أسهل اذاً.

ـ لا أستطيع أن اختفي هكذا عن وجه الأرض!

ـ روما لا تزال على الأرض.

ـ ومع ذلك لا أستطيع السفر دون إعلام زبائني.. سيغضبون مني إذا فعلت هذا.

ـ وهل يهمك؟ إذا اضطررت إلى مغادرة روما، فلن تحتاجي للقلق حول الأمور المالية.

ـ لن أترك روما، طالما جوليو هناك.

ـ أفضل لو أننا سميناه جوليانو. فهذا هو اسمه.

ـ اسمه جوليو.

ـ ومع ذلك سندعوه جوليانو. وهذا يذكرني، يجب أن أتذكر بأن لا أدعوك آنسة ستيوارت. من الآن وصاعداً أنت السينورة ماسيني.

ـ أنا لست السنيورة ماسيني.. لا أريد أن أكذب.

ـ لا يمكنك العيش في منزلي مع أمي وأن تقابلي أصدقائنا بينما يشار اليك بالآنسة ستيوارت... سيكون أقل إيلاماً لها تقديمك على أنك كنتها.

ـ من المؤسف أن والدتك لم تفكر بهذا وجوليانو حيّ.

ـ المرارة حول الماضي لا تحل المواقف الراهنة.. ماذا تريدين أن تشربي الآن.

ـ القهوة فقط.

فهز كتفيه، وانتقى طبقاً مليئاً بالحلوى، فعلّقت قائلة:

ـ يبدو أنك تحب الحلوى.

ـ هذا يتناسب مع شخصيتي، ألا تظنين ذلك.

ـ كنت أفضل لشخصيتك عصير الليمون المثلج.

وصمت للحظات قصيرة:

ـ أي أنني حامض، ولاذع، وبارد.. لقد أبديت رأيك بشكل جيد آنسة ستيوارث.

وللمرة الثانية تلك الليلة ضحك عالياً، ولكنه أوقف ضحكته واعتذر.

ـ سامحيني لضحكي، ولكنك لا تشبهين ما وصفه أخي. لقد وصفك بأنك رقيقة مثل جولييت.

ـ انا أماثل جولييت بكوني عاشقة حالمة، لقد كانت رقيقة ولكنها قامت بمجهود كبير بالنسبة لفتاة ايطالية في الثالثة عشر من عمرها لتتحدى التقاليد وتحب روميو.

وامتدت شفة الرجل السفلى إلى الأمام.

ـ لم أنظر إلى جولييت على هذا الضوء من قبل.

ـ ربما أستطيع أن اجعلك تغير رأيك في أشياء أخرى يا كونت.

ـ يجب أن تناديني روبرتو. . وهذا متوقع منك.

ـ وهل تفعل دوماً ما هو متوقع منك؟

ـ إذا لم أفعل. . فلن أعترف أبداً بالأمر! دعينا نتكلم عن موعد سفرك. أنا مقدّر لصعوبة سفرك معي يوم الأحد، ولكنني لا أرى سبباً لعدم سفرك خلال أسبوع. . لنقل الأحد القادم؟

ـ وهل يجب أن يكون بهذه السرعة؟

ـ لا سبب للتأخير.

ـ حسناً. . بعد أسبوع.

ـ شكراً لك. . أنا سعيد جداً لقرارك.

ـ لا تعتمد عليّ كثيراً. .

ـ لم أكن أبداً بالغباء الكافي لأعتمد على امرأة. . .

☆ ☆ ☆

٤ ـ داخل القصر

كان يوماً عاصفاً من أيام آذار عندما وصلت لورا وابن اختها إلى مطار ليوناردو دافنتشي في روما. وكان روبرتو قد حضّر كل الترتيبات، سيارة أوصلتها الى مطار لندن، مع تعليمات للسائق أن يؤمّن وصولها بالسلامة إلى الطائرة، ومقعد في الدرجة الأولى. لم تكن معتادة أن تسافر في مثل هذه الفخامة، فقد كانت رحلاتها السابقة كلها رحلات عمل، مع سواح، والعديد من الكاميرات وأدوات التصوير والموديلات.

ونام جوليو طوال الرحلة، ولم يستفق إلا عندما كان مهده ينتقل إلى قاعة الوصول. كانت لورا تعلم أن هناك من سينتظرها في المطار، ولكنها دهشت عندما شاهدت أن من ينتظرها هو روبرتو بنفسه. وبدا إيطالي المظهر، يرتدي بذلة رمادية فاتحة وربطة عنق فضية. وشعره أكثف وأكثر سواداً من ذي قبل، مقدمة شعره مبعثرة إلى خصل وكأن الريح عبثت فيه. وانحنى لها مرحباً عندما وصل إلى جانبها، ثم حدّق فوراً بابن أخيه، واضعاً يده الضخمة على وجهه الصغير المستدير بحنان.

www.rewity.com

ـ هل كانت رحلتك مريحة؟
ـ أجل.. شكراً لك.
ـ هيا بنا نذهب إذاً.. فوالدتي متشوقة لرؤية الطفل.
ـ ولكن حقائبي.
ـ سيتم إحضارها..
ـ على يد واحد من موظفيك..

وقادها روبرتو نحو سيارة ليموزين فضية، يقودها سائق. لورا لم تستقل من قبل سيارة بمثل هذه الفخامة، وبدت لها وكأنها تطير فوق الطريق، بنعومة وهدوء.

ـ أين يقع منزلكم؟
ـ على إحدى التلال التي تشرف على المدينة.
ـ هل هو قرب مصنعكم؟
ـ أي واحد منها؟
ـ وكم مصنعاً لديكم؟
ـ العديد منها. ولكن منزلي ليس بقرب أي مصنع. لديّ مكتب في روما، ولكن المصانع قرب ميلانو وتورين.
ـ أليس ملائماً أكثر لك أن تعيش هناك؟
ـ ممكن، ولكن منزل العائلة هنا. لهذا أتنقل بالطائرة، ولدينا مطار قرب كل من مصانعنا الرئيسية. وهذا يسهل الأمور عليّ أكثر.
ـ وهل عندك أخوة او أخوات آخرين يا كونت؟
ـ ادعيني روبرتو.. ليس هناك سواي. كان لديّ شقيقة ولكنها توفيت منذ سنوات.. أنت لا تعرفين شيئاً عن عائلتنا يا لورا.
ـ لا... لقد قلت لك، جوليانو و... نحن لم نتحدث أبداً عن عائلتكم.

ـ ما بال ساقيك؟
ـ ولماذا تسأل؟
ـ لأنك تبدين كارهة لإظهارهما. هذه ثالث مرة نلتقي فيها ولم أرى ساقيك.
ـ أحب لبس البنطلون، أجده أكثر راحة عندما أعمل...
ـ بما أنك لن تعملي بعد الآن، فلا سبب لارتدائه..
ـ معظم النساء يرتدين البنطلون هذه الأيام، لم أكن أعلم أنك من الطراز القديم.
ـ أنا لا أرغب في أن أضع لك القوانين يا لورا. ولكن بخصوص الثياب، ستجدين أن أشياء محددة غير مقبولة هنا. عندما تتعودين على طريقة حياتنا، ستعرفين بنفسك ما هو صح وما هو خطأ.
ـ إذا كانت البناطلين ممنوعة فنصف ثيابي سأرميها.
ـ من الأفضل أن تتخلي عنها كلها، وتضعي نفسك بين يديّ واحد من مصممي أزياءنا في روما. والدتي ستكون سعيدة لإرشادك.
ـ وهل سأتلقى دروساً في كيفية التصرف؟
ـ لا أرغب في أن اكون فظاً معك يا لورا. تعليقاتي أقصد بها تسهيل أمر إقامتك معنا.. سيكون من الأسهل لك أن تعتادي على طريقة حياتنا.
ـ يبدو أنها حياة محافظة.
ـ إذا لم تعجبك بإمكانك العودة إلى انكلترا.
ـ ستحب عودتي.. أليس كذلك؟ ولكنني لن أعود.. لن أترك ولدي.
ـ أرجوك، لا تغضبي.

واستقبلهما، تمثالين لأسدين، عند مدخل «بلازا ماسيني» وفُتح باب القصر، وأقبل خادمين للقائهما، أحدهما حمل مهد الطفل،

والآخر حمل الحقائب. ودخلت الزدهة الداخلية ببطء، كانت كبيرة جداً لدرجة أن بالإمكان استخدامها كقاعة رقص. وبدا كل شيء فيها وكأنه مصنوع من الرخام! الجدران، السقف، الأرض، الطاولات، ومقاعد مكسوة بالكنافا، والعديد من الجرار الأثرية، بعضها مليء بالزهور. وبدا المكان وكأنه متحف أكثر من منزل خاص، وتمنت أن لا يكون باقي المنزل هكذا.

- والدتي ترتاح الآن.. أقترح عليك أن تذهبي إلى غرفتك وتستعدي للقائها بعد ساعة.

- بعد تناول الشاي؟

- إذا رغبت في الشاي اقرعي جرس الخدم واطلبيه، أنت تعلمين أن شرب الشاي ليس من عاداتنا.

ونظر إليها نظرة بدون معنى وقادها بصمت إلى فوق. وتبعته ووراءهما الخادمين يحملان المهد والحقائب. ووصلا الطابق الأول، واستدارا يميناً نحو ممر طويل، ثم يميناً ايضاً إلى ما بدا لها جناح صغير مخصص لها. وتوقف روبرتو وفتح الباب ووجدت لورا نفسها في جناح أطفال رائع الديكور. وتقدم نحو نهاية الغرفة وفتح غرفة النوم، لتجدها بنفس الروعة ومليئة بالسجاد، وفيها سرير طفل وسرير عادي صغير، إضافة إلى طاولة وكرسي صغيرين. وراء هذه الغرفة، يقع الحمام، وفيه مغطس واسع.

- إذا رغبتي في تغيير أي شيء فلك مطلق الحرية.

- لا أرغب في تغيير شيء هنا. من الواضح أنك تكبدت المشقة والمال لتحضيرها. هل غرفتي قريبة؟

- إنها في الجناح المقابل..

- ولكنني أريد أن أسمع الطفل إذا بكى!

- لا لزوم لذلك.. فسيكون معه مربية.

وفتح الباب ودخلت امرأة في أواسط الاربعين من عمرها، وحيتها بانكليزية ضعيفة، ثم توجهت نحو المهد وحملت جوليو وضمته إلى صدرها، وتحدثت مع روبرتو بالإيطالية، وتمنت لورا لو أنها تعرف اللغة. وكأنما استشف افكارها فقال:

- تقول روزا إن الولد صورة من أبيه في نفس العمر.

- وهل كانت تعرف جوليانو.

- لا تقولي إنه لم يتكلم أبداً عن روزا؟ أحياناً كنت أعتقد أنه يحبها أكثر من والدتنا.

- ربما ذكرها لي، ولكنني لا أذكر.

- أرجوك، لا تقولي هذا لها، سيؤلمها كثيراً. تعالي سأريك غرفتك..

ونظرت لورا إلى ابن أختها وابتسمت لروزا ولحقت به إلى جناح من الغرف في الناحية الأخرى من الممر. ووجدت هناك غرفة جلوس وغرفة نوم مفروشين بأفخم الأثاث، ومقاعد الجلوس فيها مريحة بشكل مدهش، ومكتبة رائعة قرب النافذة، تطل على منظر رائع لروما.

- سأعود إليك بعد ساعة لآخذك إلى والدتي..

وشعرت وكأنها ستقدم أمام محكمة، فنظرت إليه عبر الغرفة، متوقعة أن يقول لها ماذا سترتدي. ولكنه انحنى لها، وتركها لوحدها..

☆ ☆ ☆

٥ ـ ترحيب دافىء

في الوقت المحدد، كانت لورا مستعدة وتنتظر عودة روبرتو. الكونت ماسيني.. لم تستطع أن تفكر به كصاحب لقب، ربما السبب أن جوليانو لم يذكره أمامها سوى بكونه ملك من ملوك التجارة. ومع ذلك فمن الغرابة أنه لم يكن يقبل منه المال. لقد كان جوليانو مزيجاً غريباً: ارستقراطي وهاوي فنون، وهاوي سباق السيارات. أخوه الكبير رجل غريب أيضاً: فهو يعطي الانطباع بأنه قاسي، ومع ذلك، أطاع والدته في رغبتها بأن يأتي بحفيدها إلى وطنه. أم أن هذا عائد إلى كبرياء العائلة أكثر من الحب؟ على كل الأحوال، حتى يتزوج وينجب اطفالاً، جوليو هو وريثه الوحيد.

التفكير بالطفل، دفعها إلى دخول جناحه. ولكنها اضطربت عندما وجدته فارغاً، ولا أثر لابن اختها فيه ولا للمربية. بسبب وجود من يعتني بالطفل سيكون أمامها وقت فراغ كبير، وعلمت أن روبرتو فعل هذا متعمداً على أمل أن يدفعها الملل للتفكير بعالمها ثانية. حسناً.. سيعلم الكونت الجليل، العالي المقام، في وقت قريب أنه مخطىء! وبينما هي تستدير لتخرج، دخلت روزا تحمل الطفل:

ـ قابل الكونتيسة.. بكي كثيراً..

وأبعدت الطفل عنها وأعطته للورا:

ـ أنت «الماما».. احمليه.. نعم...

وحملت لورا الطفل قريباً من صدرها، وأذهلها مقدار الحب القوي الذي تكنه له. ودخل روبرتو ماسيني إلى الغرفة:

ـ ها أنتِ هنا يا لورا. والدتي تنتظر رؤيتك.

وأعطت الطفل إلى روزا وتبعته، ونظر إلى الثوب الأسود الذي ارتدته.

ـ أنا مسرور لأنك غيرت ملابسك، ولكن كان من الافضل لو ارتديت شيئاً غير محزن كهذا.

ـ لم أعتقد من المناسب أن أرتدي شيئاً زاهياً.

ـ لم نعد في حداد على أخي، ولا أحب أن نتذكر أنه مات.

وقالت بغضب:

ـ ألم يثر وصولي الذكريات بعد؟ كما أن ليس لديك الحق بأن تأخذ الطفل لرؤية جدته من دوني.

ـ لقد أحببت أن أخفف من الإحراج لأمي. لقاء أول حفيد مؤثر لاية امرأة، وخاصة اذا كان الوالد قد مات بمأساة. وجودك كان سيزيد الأمر صعوبة عليها.

الكونتيسة، كانت ارستقراطية بكل ما يعطيه الاسم من معنى، طويلة بالنسبة للنساء الإيطاليات، ولها قامة مستقيمة جعلتها تبدو أطول من حقيقتها. شعرها يخالطه شيب قليل كانت لورا متأكدة أنه صناعي. الوجه نحيل ولكن مزين بشكل جميل.

وحاولت لورا أن لا تتأثر بالعينين السوداوين اللتين تراقبانها، فقطعت الغرفة ومدّت يدها، وهي تشعر أن هذه المرأة متعودة على رؤية الناس ينحنون لها.

ـ إذاً أنت والدة جوليانو؟.

واطرقت لورا رأسها بالإيجاب، وهي تتساءل كالمذنبة ماذا ستقول هذه المرأة المسيطرة وابنها فيما لو كشفت فجأة عن حميتها.

ـ نعم.. أنا.

وتفحصتها المرأة من رأسها إلى قدميها:

ـ اجلسي، أرجوك آنسة ستيوارت.. هل تحبين تناول الشاي أم القهوة؟

ـ القهوة أفضل.

ولاحظت أن هناك صينية قرب الكونتيسة عليها فناجين قهوة من الصيني الفاخر وطبق فيه بضع قطع بسكوت. وإلى جانبها وعاء قهوة شرقي من الفضة. وصبت الكونتيسة القهوة وتقدم ابنها ليقدم القهوة للورا، وأخذ فنجاناً لنفسه وتحرك عائداً إلى حيث كان يقف قرب المدفأة، المبنية من الرخام الأبيض والأخضر.

ـ لقد اتفقنا يا أمي، أن تُعرف الآنسة ستيوارث بالسنيورا ماسيني، لأجل جوليانو وابنه.

ـ أعلم ما اتفقنا عليه، ولكن من الصعب عليّ أن أقبل... بأكذوبة.

ـ إذاً سيكون من الأفضل لك استخدام اسم لورا.

ـ أنت محق يا روبرتو.

والتفتت إلى لورا:

ـ لونك غير ما توقعته.

وأشارت بيدها البيضاء المثقلة بالخواتم إلى شعر لورا:

ـ عندك لون شعر رائع.. صبغه بالاشقر جريمة!

ـ وكيف لك ان تتأكدي من ان الأمر ليس بالعكس يا أمي..

ـ لا يتطلب الأمر كثيراً من البراعة لجعل امرأة شقراء الشعر. ولكن

هذا اللون لا ينتمي إلى ما هو صناعي. إنه احمر حقيقي!

ـ ولماذا توقفت عن صبغ شعرك باللون الأشقر؟

ـ أردت التغيير.

ـ مثل هذا الشعر هبة من الله.

ـ أنوي تركه على ما هو عليه الآن. فلا لزوم للقلق.

ـ هذا جيد.. اعذراني كليكما.. فلديّ بعض المكالمات الهاتفية... سأنضم اليكما وقت العشاء.

وبقيت المرأتان لوحدهما تنظران الى بعضهما. لورا مدركة تماماً الكذبة التي ستعيش فيها من الآن وصاعداً، متسائلة كيف شعرت المرأة المسنة عندما واجهت فتاة، كانت ترفض حتى هذه اللحظات أن تعترف بها. وقالت الكونتيسة:

ـ أعتقد أنك تظنين أنني وابني كنا قاسيين معك.

ـ لقد فعلتما ما هو حق.

ـ ومن يعلم ما هو الحق؟ لا يستطيع المرء أن يحكم على تصرفات الآخرين من خلال أحداث ماضية، وعندما يحدث هذا يكون الوقت قد تأخر لتغيير مجرى الأحداث. وبوجودك الآن هنا نحاول أن نعوض عما حدث. أتمنى أن لا تكوني غير متسامحة مع القليل مما سنقدمه لك.

ـ من الصعب تسمية ما تقدمونه بالقليل.

ـ لم أكن أقصد الماديات.. كنت أفكر بابني. وبالاسم الذي كان سيمنحه لك قانونياً لو أنه لم...

ـ أرجوك لا تتكلمي عن الأمر.. أنا لا أشعر أفضل مما تشعرين به، وأنا لا ألومك.

ـ ولماذا لا؟

ـ لانني أعتقد... أن شكوك جوليانو الخاصة هي التي منعته من

زواجي. كان يحب حريته، ويريد التأكد من أنه يفعل ما هو صحيح لقد كانت مأساة مؤلمة، أنه عندما قرر في النهاية أن يتزوجني.. لم لم يتمكن...

- أنا مندهشة من عدم شعورك بالمرارة ضدنا. لو كنت أنا مكانك لما كنت رحبة الصدر هكذا.

- المرارة تحطّم النفس. من الأفضل أن لا نتكلم عن الماضي لنفكر فقط بالمستقبل.

- وبابنك. إنه ابني وقد عاد إليّ. في يوم مقبل سأريك بعض صور جوليانو وسترين بنفسك التشابه بينهما. من الجيد أنه سوف ينمو في منزل والده بين أبناء شعبه. وأتمنى أن تكوني سعيدة هنا أيضاً. لورا اسم ايطالي، كيف سُميت بهذا الاسم؟

- أمي تحب مثل هذه الأسماء.

- وماذا عن والدك.. ماذا كان يعمل؟

- إنهما كانا ممثلان.. وماتا منذ عدة أعوام.

- إذاً أنت وحيدة تماماً.

- ما عدا... جوليو.

- جوليانو.. إنه ايطالي ويجب أن يُدعى بهذا الاسم.

ولم تتردد لورا بالقبول، فالولد الذي أظهرته الكونتيسة لم يكن متوقعاً. ولم ترغب في عمل أي شيء قد يغيره. وسارت الكونتيسة نحو الباب:

- أنا عادة أرتاح قليلاً قبل العشاء.. وأنت حرة في أن تفعلي ما تريدين.

- سأذهب إلى جناح الطفل.

- ستجدين روزا مسرورة بالعناية به.

- أنا متأكدة، ولكنه في محيط غريب عنه، وأعتقد أن من المهم له

أن يرى وجهاً مألوفاً.

- أتؤمنين بالتربية النفسية للطفل؟

- أؤمن بإعطائه الحب الكثير. في أي وقت تريديني أن أنضم لكم على العشاء؟

- نحن نتعشى عند الساعة الثامنة والنصف، ولكنك تستطيعين النزول هنا ساعة تشائين.

في السابعة والنصف نزلت لورا إلى الطابق الأرضي ثانية. ولم يكن هناك أحد، ودفعها الفضول لتستكشف بعض الغرف المحيطة بالردهة. الغرف الرئيسية كانت واسعة، البرودة فيها أعلمتها أن هذه الغرف لا تُستعمل كثيراً، ولكن التدفئة لم تكن معدومة فيها، إذ لا بد منها للحفاظ على الاثاث القديم الفاخر من الرطوبة. وتملكها ثانية شعور بأن البلازا تشابه المتحف أكثر من منزل، ولا عجب أن روبرتو ماسيني هو بهذه الأخلاق المستبدة! فحياته وسط هذه الفخامة القديمة، لا بد دفعته للظن أن المجتمع لا يزال مجتمعاً خاصاً. وقد يكون شديد الدقة باختياره للنساء، ولكن عندما يصل الأمر إلى الاختيار الحقيقي فهو وحده من يقرر.

وعادت لورا إلى الردهة ولاحظت باباً في الجهة المقابلة، ففتحته لتجد نفسها في غرفة اصطفت الكتب فيها على طول الجدران، وهي عابقة برائحة السيكار، وتراجعت على الفور، ولكن ليس قبل أن يرفع روبرتو ماسيني عينيه عن الطاولة ليراها. كان قد خلع سترته وانحنى فوق الطاولة يدرس كومة من الوثائق.

- أنا آسفة لأنني أزعجتك. لم أكن أعلم أن الغرفة مشغولة.

- لقد أنهيت عملي تقريباً.

والقى من يده قلماً ذهبياً ووقف. ولاحظت كم أن بنيته عريضة وكيف أن قميصه الحريري يلتصق بجسده، يبرز العضلات التي

تتجمع حول كتفيه. وارتدى سترته ببطء، وملس شعره. وسألها:

ـ أكنت تريدين شيئاً؟

ـ لا.. كنت فقط أتفرج على المكان.

ـ ستسرّ والدتي بأن تريك القصر، تحب كثيراً الحديث عن كنوزه وتاريخه.

ـ وهل له تاريخ طويل؟

ـ لقد بُني في عام ١٦٢٠.

ـ وهل تفتحونه أمام الزوار؟

ـ لا أسمح أبداً أن يزور منزلي غرباء.. فتح القصور أمام الناس عادة انكليزية.

ـ وهل من الخطأ الرغبة في مشاركة الجمال مع الآخرين؟

ـ ليس في منزلي ما هو مخبأ، إنه مفتوح دائماً أمام الأصدقاء.

ـ وهم بالتالي لديهم منازل تماثله فخامة، وأنا أفكر بالناس الذين ليس لديهم فرصة رؤية الأشياء الجميلة.

ـ أنا سعيد لأنك تجدين منزلي جميلاً.

ـ في الواقع لا.. وكأنك تعيش في متحف، وأتوقع أن أجد لافتة تقول «لا تجلس هنا» على المقاعد.

ـ للأسف كم تظهرين أخلاقك السيئة بمثل هذا الفخر. على الأقل احتفظي بأفكارك لنفسك.

وفتح لها الباب ومرت من أمامه لتخرج. معه حق بالطبع. ملاحظاتها لا داع لها أبداً، ولم تكن فقط جاهلة بل فظة. وتوقفت فجأة حتى أنه اصطدم بها وشعرت بقساوة صدره على كتفها، فقال:

ـ ما الأمر الآن؟

ـ اريد أن اقول إنني آسفة. لست أدري لماذا كنت فظة معك في العادة أنا لست هكذا.

ـ ألست كذلك؟

ـ لا.. وأعترف أنني شديدة الصراحة ولكنني أحاول أن لا أكون فظة.

ـ ولكنك اعترفت بأنك كنت فظة الآن؟

ـ أجل.. كنت فظة.. فظة جداً. أعتقد أن قدومي اليوم إلى هنا قد وتّر أعصابي و...

ـ لا حاجة بك لقول المزيد.

ووضع يده على ذراعها، بضغط خفيف بينما كانت تتوقع ضغطاً قاسياً، وتابع قوله:

ـ لقد قدمت أكثر من تعويض بتواضعك هذا. لم أكن أتصور أن من السهل عليك الاعتذار.

ـ ولا أعتقد أن الاعتذار سهل عليك أيضاً!

ـ إذا كان ضرورياً أفعل.. وأتمنى لو أستطيع أن أعتذر بالسهولة التي تفعلين بها هذا.

ودخلا غرفة الجلوس الصغيرة، وبعد أن جلست سألتها الكونتيسة:

ـ أين التقيتي بابني؟

ـ لقد أتى إلى الاستوديو بينما كنت آخذ بعض الصور.

ـ ولكن جوليانو قال إنك «عارضة أزياء»!

وأدركت متأخرة أن المرأة المسنة كانت تتحدث عن ابنها الأكبر فقالت:

ـ اعذريني يا كونتيسة.. اعتقدت أنك تتكلمين عن الكونت.. لقد التقيت بجوليانو في باريس.. كنت هناك لعرض مجموعة ملابس جديدة، وأتى جوليانو ليشاهد العرض مع فتاة أخرى.

ـ وهل كنت «عارضة» طوال حياتك؟

ـ منذ تركت المدرسة.. فقد بدا هذا العمل الأفضل بالنسبة

لشكلي، ولجمالي ايضاً.

وسمعت وقع أقدام خلفها، وللمرة الاولى شعرت بالسعادة لدخول روبرتو ماسيني، لوضع حد لأسئلة الكونتيسة، وتقدم ليقبّل والدته، وأجفلت عندما تحرك باتجاهها: هل هذه عادة ايطالية؟ ولكنه تجاوزها نحو الطاولة الصغيرة التي صُفت عليها أقداح من الكريستال الفاخر.

ـ أتحبين أن تشربي شيئاً يا لورا؟

وسكب لها شراباً خفيفاً منعشاً في كوب من الكريستال بإطار ذهبي وقدّمه لها. ونظرت إليه بارتياب. فقال بنعومة:

ـ لم أضع لك فيه السم.

ـ لديك وسائل أخرى أكثر فعالية للتخلص من أعدائك.

ـ جربيه، إنه شراب خفيف من صنع معاملنا.

وسألته الكونتيسة:

ـ هل أنت ذاهب إلى ميلانو غداً؟

ـ أجل.. سأغيب بضعة أيام.

وقالت لورا:

ـ أودّ تعلم الايطالية.. هل تدلني على مدرسة؟

وساد صمت قصير، تبادلت الأم فيه النظر مع ابنها. وقال:

ـ أظن من الأفضل أن تتلقي دروساً خصوصية.. سأطلب من فانيسا، سكرتيرتي الخاصة، أن تدّبر الأمر لك، كم درساً تريدين في الأسبوع؟

ـ أحب درساً كل يوم لو..

ـ أظن أن درسين في الأسبوع كفاية عليك.

ـ أحب أن أحصل على درس كل يوم لأربع ساعات إذا أمكن... فالدرس المكثف أفضل وسيلة لتعلم اللغة.

وقالت الكونتيسة:

ـ لورا على حق.. لو وجدت الأمر صعب عليها تستطيع الانسحاب، ولكنها ستشعر بسعادة أكبر عندما تتكلم الإيطالية.

وهز كتفيه.

ـ سأقول لفانيسا ان تدبّر الأمر. أتفضلين قبل الظهر أم بعده؟

ـ في الصباح يكون ذهني لا يزال صافياً.

ـ وكل يوم؟

ـ أجل يا كونت!

ـ أتمنى لو تتحسن ذاكرتك..

ـ ذاكرتي؟

ـ أنت تنسين باستمرار انني طلبت منك مناداتي بروبرتو.

ـ لم أنسى.. ولكنني أفكر بك بسهولة أكثر كونك «كونت».

ـ كونت دراكولا؟

والتقطت أنفاسها، ولكنها رأت أنه يبتسم:

ـ هذه أول نكتة تقولها لي.

ـ لم أقصدها نكتة، فأنا أعلم تماماً رأيك بي.. ولكن صدقيني، يا لورا، من الأفضل لك أن تنظري إليّ كصديق.

ـ ولماذا؟

ـ لأنني لا أريد أن تضيعي جهودك هدراً في محاربتي.

ـ أنا أعيش في منزلك مع... مع ابني.. أليس هذا برهان كافٍ بأنني لا أحاربك؟

ـ أريد قناعتك الداخلية بهذا الأمر.. ليس فقط القبول الظاهري.

وهزت رأسها، ثم نهضت، عندما وصل الخادم ليعلن أن العشاء جاهز. في المستقبل عليها أن تراقب أفكارها بقدر ما تراقب لسانها، وإذا لم تكن حذرة، عليها أن تتوقع الأسوأ.

٦ ـ الوجه الآخر للكونت

معرفتها أنها إذا لم تكن حذرة فقد تخسر ابن اختها، أعاد إيقاظ كل الحب في قلب لورا له، ودون النظر إلى روزا أمضت معظم وقتها معه.

وسافر روبرتو، بعد أن دبّر أمر الدروس لها. وأبلغتها مساعدته أن البروفسور نيرو سيأتي كل يوم ليعطيها درساً من التاسعة صباحاً الى الواحدة بعد الظهر.

بعد الأيام الثلاثة الأولى، شعرت لورا أن روبرتو كان على حق عندما قال إن الدروس المكثفة صعبة عليها. ولكن عنادها منعها من طلب تخفيف كثافة الدروس. وأبلغتها الكونتيسة أن روبرتو سيتأخر أكثر مما هو متوقع: «إنه لا يتأخر عادة ولكن هناك مشكلة في أحد المصانع ويريد أن يتعامل معها شخصياً، لو أنه يرضى بأن يرعى مصالح أملاكنا واستثماراتنا فقط، ولكنه يحب تحدي التجارة».

ليس صعباً عليها أن تعرف أنه مقاتل أكثر من أي شيء آخر، وتابعت الكونتيسة:

ـ عندما يعود ستتمكنين من التحدث معه بالإيطالية. البروفسور نيرو يقول إنك تتقدمين في دروسك وأعتقد أن هذا عائد لقدرتك في التمثيل.

ـ ربما.. لم أفكر بهذا من قبل.

ـ أنت لا تفكرين بنفسك كثيراً، أتوقع منك أن تهتمي بنفسك أكثر، أعني أن تهتمي بنفسك وبمظهرك.. اعتقدت أنك بكونك موديلاً يجب أن تحبي الملابس أكثر.

ـ الأزياء هذه الأيام حرة أكثر وأسهل. فهي تعطي المرء مظهراً عادياً.

ـ كنت أفكّر فقط في الملابس، مثلاً، أنت لا تنظرين إلى نفسك في المرآة أبداً، عندما تمرين بها، معظم النساء يفعلن هذا، حتى أنا أفعل هذا.

وابتسمت لورا «سأفعل هذا في المرة القادمة».

وارتاحت لدخول روزا مع الطفل. وقالت الكونتيسة:

ـ اتركي الطفل معنا، وعودي بعد ساعة لأخذه.

وقالت لورا «سآخذه إلى غرفته بنفسي» وأجلست ابن أختها في احد المقاعد، ونظر من حوله وتناول منفضة سكائر فضية، وبدأ فوراً بالعض عليها. فقالت مداعبة «المرة القادمة ستتناول سيجارة» وأخذت منه المنفضة وأعطته بدلاً منها منديلاً رماه على الأرض فوراً وقالت الجدة:

ـ إنه بحاجة إلى شيء صلب ليعض عليه، كنت أعطي أولادي عظمة من عاج.

ومد جوليو ذراعاه لها فالتقطته ووضعته على ركبتيها، فأخذ يلعب

بالسلسلة التي في رقبتها، ثم حاول الوقوف في حجرها. فقالت الكونتيسة:

ـ إنه يبدو أكبر من عمره.. ولا واحد من أولادي حاول الوقوف قبل بلوغه السنة.

ـ أعتقد أن هذا عائد للتدريب.. الأطفال هذه الأيام يُعاملون بطريقة ناضجة أكثر. لقد تلقى طعاماً عادياً عندما كان في الشهر الثامن.

ـ كان صعباً عليك تربية طفل بمفردك.

ـ لم يكن هذا سهلاً..

بعد عشرة أيام من سفر روبرتو إلى ميلانو، دخلت جناح الطفل لتجد روبرتو راكعاً قربه وهو ممدد على الأرض، وتحركت روزا خارجة وتركتهما لوحدهما. وركعت بدورها أمام جوليو، وهذا ما جعلها ملتصقة بروبرتو فعادت إلى الوقوف.

ـ هل تريدين أن تحمليه؟

ـ لا.. العب أنت معه.. سأعود فيما بعد

ـ ليس هناك ما يمنعنا من اللعب معه معاً.

وبقيت حيث هي، فرفع روبرتو الطفل بين ذراعيه، وكأنه معتاد على حمل الاطفال. وأخذت تتفرس في ملامح وجهيهما المتماثلة، حتى التعبير عليهما كان متماثلاً، وكان عليها أن تقاوم رغبة بالابتسام. وبدأ يتحدث إلى الصبي، بصوت ناعم وبالإيطالية. وضربه الطفل على وجهه ثم دفن وجهه في رقبته.

ـ انتبه، وإلا سوف يسيل لعابه عليك.

ـ عليّ أن أغيّر ثيابي على كل الأحوال.. لا أمانع في أن يلوثني بلعابه..

وأزاحه بلطف ليجد بقعة على قبة قميصه فتابع قوله:

ـ إنه مبتل أيضاً، وهذا غير مريح.

ـ سأغيّر له...

وأخذته من بين يدي عمه إلى غرفة النوم. وفتشت عن منديل لتغير له.. ودخل روبرتو واتكأ على خزانة الجوارير وأخذ يراقبها وهي تزيل الفوطة المبتلة وتضعها في سلة المهملات قبل أن تضع أخرى ناشفة.

ـ ألن تضعي له البودرة؟

وفتشت عن العلبة، ثم ضغطت عليها فخرج منها الكثير وانتشر في الهواء مما جعلها تسعل.

ـ كان يمكن أن أفعل هذا أفضل منك.

ـ أليس هناك شيء لا تستطيع أن تفعله؟

ـ مع أنني أحب الأطفال، فلم أستطع إنجاب واحد لي:

ـ أنا واثقة لأنك لم تفكر بالأمر جيداً!

وانفجر ضاحكاً، وانزعجت لورا من نفسها لأنها أحبت ضحكته هذه.

كيف سيكون الأمر بينهما لو أنها التقته في ظروف عادية؟ ولكنهما ليس مقدراً لهما أن يلتقيا كما المريخ وعطارد المختلفا التكوين.

المريخ وعطارد، ما هذه السخرية؟ ولماذا مر الاسمان في ذهنها؟ أحدهما معروف بكوكب الحرب والآخر بكوكب الحب.. حسناً هناك حرب أكثر من الحب بينهما...

تلك الليلة تعمدت لورا أن تتأخر عن النزول إلى العشاء، آملة أن يكون قد ذهب إلى طاولة العشاء قبل نزولها. ولكنها عندما دخلت غرفة الجلوس وجدته واقفاً يتحدث إلى امرأة شابة. وما إن رأى لورا حتى تقدم نحوها.

ـ كنت سأرسل أحد الخدم بطلبك، لماذا تأخرتي؟

www.rewity.com

ووضع يده تحت مرفقها، ودهشت لملمس يده الدافئة، وكأنه كان يعرِّضها للنار طلباً للدفء.

ـ أوليڤيا.. هذه زوجة شقيقي لورا.. لورا هذه اوليفيا جوڤاني، صديقة قديمة للعائلة..

وابتسمت اوليڤيا ببرود للورا، كانت سمراء داكنة الشعر، اللون العادي لإيطالية، مع أن عيناها كانتا رماديتان براقتان.

ـ أحببت أن أحضر الى هنا خلال النهار لأرى الطفل. روبرتو يتكلم عنه كثيراً..

ـ إنه عم محب..

تكلمت هكذا بدافع التأدب أكثر من كونه الحقيقة، ودهشت لنظرة القلق التي بدت على وجه الفتاة الإيطالية، وتساءلت لماذا بدت الغيرة على هذه الفتاة لأن روبرتو يحب ابن أخيه.

ـ هل تحبين الحياة في روما؟

ـ لا أعلم.. لم أشاهد الكث من المدينة.

وتدخلت الكونتيسة قائلة:

ـ كان روبرتو في ميلانو كل هذا الأسبوع، ولم اكن أشعر بالقوة لأرافق لورا بنفسي. أصبت بنزلة صدرية، وتركت الفراش لتحيتك يوم وصلتي يا لورا..

وقالت لورا، وقد فهمت للمرة الأولى لماذا تمضي الكونتيسة معظم وقتها في غرفتها «آسفة لم أكن أعرف».

ـ ولكنني أتحسن ببطء، وسنبدأ نتمتع بوقتنا في الأسبوع القادم.

وقال روبرتو:

ـ ربما تكون فكرتك عن التمتع مخالفة لفكرة لورا.

فقاطعته لورا:

ـ سأكون سعيدة بالذهاب إلى أي مكان تختاره أمك.. على كل أنا مشغولة في كل صباح.

ـ اه.. أجل.. لقد نسيت الدروس... زوجة أخي تدرس الإيطالية يا أوليڤيا.

فابتسمت أوليڤيا للورا «لا لزوم لهذا.. فكل من ستلتقين بهم يتحدثون الإنجليزية ببراعة».

ـ ولكنني آمل أن ألتقي بمن هم أقل حظاً.

وعلمت أنها قد أزعجت روبرتو للنظرة التي رمقها بها.

ـ ما تعنيه زوجة أخي أنها تأمل بلقاء الناس العاديين، ليس فقط من هم من المجتمع المخملي في روما. إنها كانت تعمل لكسب رزقها وحياتها تختلف عن نمط حياتك.

وابتسمت اوليڤيا وقالت:

ـ بالنسبة لي العمل من أجل العمل فقط لا معنى له. أفضِّل أن أجعل من رجل ما رجلاً سعيداً أكثر مما أفضِّل العمل لرئيس يكثر من التذمر.

وأجابتها لورا:

ـ إذا كنت تشعرين بهذه الطريقة، وأنت مرتاحة مالياً، فلماذا لا؟. ولكنني أموت ضجراً إذا لم أفعل شيئاً.

ـ إذاً.. أمر جيد أن تتعلمي الإيطالية... إنه العمل الوحيد الذي سيسمح لك به روبرتو.

ـ لو أردت العمل.. لن يستطيع روبرتو إيقافي.

وساد الصمت، بطريقة متوترة، حتى تمنت لو أنها صانت لسانها أكثر. وتكلم روبرتو في النهاية:

ـ المسألة نظرية. في الوقت الحاضر وقتها مشغول بتعلم الإيطالية وتتعود أن تأخذ مركزها في منزلنا. وعندما يأتي وقت تشعر فيه بحاجتها لإشغال نفسها باتجاهات أخرى، سنتكلم عن هذا في حينه!.

أثناء تناول العشاء تكلم روبرتو وأوليڤيا بالإيطالية ولدهشتها

استطاعت لورا أن تتابع حديثهما، ولكنها لم تتظاهر بهذا، يوماً ما ستفاجيء روبرتو بمعرفتها هذه، وحتى ذلك الوقت ستتظاهر بالعكس.

بعد العشاء غادر روبرتو واوليڤيا المنزل لينضما إلى أصدقاء في أحد النوادي الليلية، وبقيت وحيدة مع الكونتيسة، فجلستا على جانبي المدفأة، وكانت قطع حطب الصنوبر تحترق في المدفأة، على الرغم من عدم فائدتها، لوجود تدفئة مركزية. وكسرت الكونتيسة الصمت:

ـ أتمنى أن يتزوج روبرتو من أوليڤيا. ستكون زوجة رائعة له.

ـ واضح أنها من نفس الطبقة الارستقراطية.

ـ والاهم من هذا أنها تحبه. وهو بحاجة للحب. من النظرة التي على وجهك يبدو أنك لا توافقيني الرأي.

ـ لا أعرف ابنك جيداً حتى أوافق أو لا أوافق. مع أنه يبدو لي راضياً بنفسه.

ـ أنت لا تعرفين الرجل الكامن وراء قناعه. إنه قادر على الحب والكراهية بنفس المستوى.

ـ أنا مندهشة لأنه لم يتزوج بعد.

ـ الإيطاليون إما أن يتزوجوا في عمر باكر او في أواسط الثلاثين.

ـ لم أكن اعرف هذا.

ـ لقد توقف عن لهوه عندما مرض والده. لقد حمل مسؤولية كبيرة بالنسبة لعمره يوم ذاك. لقد كان في الثالثة والعشرين عندما مات والده، منذ عشر سنوات.

ـ إذاً كان جوليانو في أوائل مراهقته.

ـ لهذا كان روبرتو يشعر بمسؤوليته تجاهه دائماً. كان هناك رباط بينهما أقوى مما يجده المرء عادة بين شقيقين. لقد كانا متوافقين تماماً حتى....

ولم تكن بحاجة لإنهاء الجملة، لأن لورا فهمت أنها تعني حتى ظهرت هي في حياته، وتابعت الكونتيسة:

ـ لقد تصرفنا معه بحماقة، لو التقينا بك عندما اقترح جوليانو ذلك. لكنا وفرنا الكثير من الحزن. ومع أنني أعرفك منذ زمن قصير، إلا أنني واثقة أن حبه لك كان حقيقياً. لقد كنت أنا السبب لعدم دعوتك إلى منزلنا حتى الآن.

ـ أتعنين أن روبرتو لم يكن هو المعارض للتعرف إليّ؟

ـ إنها الحقيقة، فمن الآن وصاعداً لن يكون بيننا سوى الحقيقة. بنظري أنت أرملة ابني، ومثل ابنتي: أريدك أن تعتبري هنا كمنزلك يا لورا. ولن يتم هذا وأنت تشعرين بالعداء لروبرتو. أرجو أن لا تلوميه من الآن وصاعداً على ما حدث.

ـ لو كان يريد أن يقابلني.. فأنا مندهشة لماذا تركك تتحكمين به؟

ـ إنه إيطالي، والوالدة للإيطالي تعني الكثير، إلى أن يتزوج.

ـ وهل تعتقدين أنه سيتزوج من أوليڤيا؟

ـ إنه يرفض مناقشة المسألة. إنه جذاب جداً، والنساء يقعن في حبه دائماً، وليس عجيباً أنه يكره الاستقرار. ما رأيك لو نلعب الورق؟ ستجدينه في تلك المكتبة في الجارور.

كيف لها ان تستمر في هذه الحياة هكذا! تتعلم الايطالية في الصباح، تلاعب الطفل بعد الظهر، وتتظاهر بالاهتمام بلعب الورق مع الكونتيسة بعد العشاء، وتدرس ما تعلمته من الايطالية بعد أن تذهب الكونتيسة للراحة؟ سيكون الأمر أسوأ الآن وقد عاد روبرتو إلى المنزل، فمجرد معرفتها بقربه منها يجعلها لا ترتاح، ومع ذلك لا تجرؤ أن تدعه يشعر بهذا.

وفي وقت متأخر من تلك الليلة، بينما هي تستلقي في فراشها غير قادرة على النوم، سمعت روبرتو يعود، ولم يدخل السيارة إلى الكاراج

www.rewity.com

بل تركها أمام الباب ليدخلها السائق في الصباح، كانت الساعة تقارب الثالثة صباحاً، وتساءلت، هل من عادته أن يتأخر إلى هذا الوقت؟

وضربت وسادتها بغضب. لماذا تفكر به عند الثالثة صباحاً؟ هل أصبح هذا الرجل يستحوذ على تفكيرها؟ وجذبت الأغطية الحريرية تحت خدها. أغطية حريرية لها أطراف مزخرفة على كل زاوية منها، ومع ذلك فهي مستعدة للتخلي عن ترف هذا الحرير في سبيل العودة إلى شقتها وأن تكون مسؤولة عن مصيرها بنفسها..

☆ ☆ ☆

٧ ـ درس في التربية

لم يظهر روبرتو في اليوم التالي قبل موعد الغداء. واعتقدت لورا نه تأخر في النوم، ولكنها دهشت عندما شاهدته في لباس الفروسية.. فقالت له:

ـ ألم أكن أعلم أنك تملك خيولاً هنا؟

ـ اسطبلاتنا تبعد بضعة كيلومترات من هنا.

ـ وكم تمتد أراضيكم؟

ـ لدينا مئة هكتار هنا، ولكن أملاكنا الأكبر في في توسكانا.

إذا كنت لا تزالين معنا في الصيف سيكون أمامك فرصة لزيارتها.

ـ سأنتظر الزيارة بفارغ الصبر.

ـ هل نذهب لتناول الطعام، فأنا أموت جوعاً.

ـ ألن تنتظر والدتك؟

ـ ستقضي يومها في الفراش.

ـ لم أكن أعلم أنها مريضة.

ـ إنها ليست مريضة، ولكنني أمرتها بالراحة. قلبها ضعيف وإذا لم

WWW.REWITY.COM

أصرّ عليها لتعتني بنفسها ستبقى تتجول في المنزل طوال النهار، ولديها لائحة طويلة بالأشياء التي ترغب في فعلها معك في الأسبوع القادم.

ـ ما نوع هذه الأشياء؟

ـ ستقول لك بنفسها.

ـ ها أنت تخادعني!

ـ هذه المرة الأولى.

وقادها إلى غرفة الطعام حيث حضر مكانين على الطاولة الطويلة، وبينما هي تأخذ مكانها لم تستطع منع رجفة تملكتها.

ـ هل تشعرين بالبرد.

ـ لا.. أنا فقط أشعر بالكآبة هنا.

ـ الكآبة؟

ـ بسبب الغرفة، إنها واسعة جداً. ألا تجد الغرف مخيفة؟

ـ انا لا أجد منزلي مخيفاً. والحجم يتعلق بطريقة استعماله وقد أجده مثلاً صغيراً بالنسبة لي.

ـ لا تكن متباهياً بنفسك هكذا!

ـ ليس هناك تباه في ما قلته، صحيح أن المنزل كبير، ولكن كذلك الفرش واللوحات. لو متعت نظرك بها فلن تجدي الغرف كبيرة أو مخيفة.. بل ستجدينها ملائمة.

وزمّت لورا شفتيها وغرزت شوكتها بغضب في القريدس في صحنها.. فقال ببرود:

ـ هذا قريدس.. وليس شقيق زوجك!

ـ أنت لست شقيق زوجي!

ـ قانونياً، لا.. ولكن أخلاقياً، نعم. أتمنى حقاً لو أنك كنت زوجة جوليانو يا لورا.

وابتلعت قطعة القريدس، ومعها ابتلعت الذنب الذي تشعر به لخداعها له.

ـ أنا مندهشة لأن لديك ضمير يا روبرتو.. حسب ما قالته والدتك هي من صعبت على جوليانو أمر الزواج مني.

ـ وهل قالت لك هذا؟

ـ لست واثقة بأنني أصدّقها.. أظن أنها قالت هذا بسبب...

ـ ما قالته صحيح.. لو أن الامر جرى كما أرغب، لسمحت لجوليانو أن يأتي بك إلى هنا. ولكن لسوء الحظ استمعت إلى أمي..

أدهشها هذا الاعتراف، واعجبت به أكثر من أي وقت مضى. وكانت تفكر بما ستقوله عندما عاود الكلام.

ـ عندما يكون الرجل مغرماً، لا سبيل للجدل معه. وكنت أؤمن أن جوليانو إذا رآك هنا في منزله لعلم أنك لن تكوني سعيدة فيه.

ـ اتعني انك كنت تأمل أن لا أكون ملائمة للعيش هنا. وأن أتناول الخضار بالسكين، وأتمضمض بالشوربا!

ـ شيء من هذا القبيل..

واجتاحها الغضب، وسلب منها قدرة الكلام، أرادت أن تقفز من مكانها لتضربه، لتصفع ذلك الانطباع الساخر الذي على وجهه. ولكنها أجبرت نفسها على البقاء حيث هي، ولكنها لم تستطع إجبار نفسها على ابتلاع ما تبقى من طعامها.

ـ لا يجب أن تغضبي مني لأنني أقول الحقيقة. من المؤكد أن مجرد إخبارك بهذا يشير إلى أن ظنوني كانت خاطئة.

وقالت وهي ترتجف «وهل كانت خاطئة فعلاً؟».

ـ طبعاً. أنا لا أقول إنني أؤمن أنكما كنتما ستسعدان، فأنا لا زلت أعتقد بأنك كنت ستجدين الحياة هنا مقيدة جداً. ولكنني أعترف أن الفروقات بينكما كانت ستكون في الطباع وليست في الاجتماعيات.

ـ هذا اعتراف عظيم يأتي منك، ألا زلت مصراً أنك لست «سنوب».

ـ ألانني أعترف بوجود حواجز طبقية؟ أنا أواجه الوقائع يا لورا، ولا أصنعها.

ـ ولكنك تحاول تخليد هذه الوقائع!

ـ لا.. ليس صحيحاً.. أنا آسف لواقع أننا جميعاً لم نحصل على فرص متساوية. ولكنني واقعي بما فيه الكفاية لأعرف أنه حتى ولو كانت أمام الجميع فرص متساوية، فالبعض منا سوف يصعد إلى فوق والبعض الآخر لا.. ولكن كل البشر متساوين أمام الله و...

وقالت بمرارة.. «روبرتو ماسيني!».

ـ إنني أعني ما أقول.. وسأكون منزعجاً جداً فيما لو أن من يعمل معي يؤمن عكس ذلك.

ـ ألهذا قام العاملون عندك بإضراب في الأسبوع الماضي؟

ـ إنهم بعض الفوضويين، وعندما تحدثت مع رجالي عادوا جميعاً إلى العمل. لو كنت قرأت نظام العمل في «ماسيني موترز» لرأيت أنه أفضل اتفاق عمل في أوروبا كلها.

ولم تجب، والتقطت شوكتها من جديد لتتابع الطعام وقال روبرتو بعد صمت:

ـ أعتقد أننا يجب أن نتوقف عن الكلام في الماضي.

مهما قال عن نسيان الماضي، وعن الترحيب بها هنا، فهي تعرف أنه إنما يقوله دون اقتناع. واقعياً يرغب في أن تغادر منزله وتترك له جوليو. وفكرت بأختها التي لم يكن ليدعوها إلى هنا سوى لإذلالها. وتصاعد غضبها من جديد. ومع ذلك فترجمة الغضب إلى كلمات فيه خطورة، إنها تسير في طريق كله خداع، وخطوة خاطئة واحدة قد تكون نهايتها. والتقطت أنفاسها واستطاعت ان تسترخي ثانية. وأشار إلى الخادم ليأخذ الأطباق الفارغة.

واستطاعت بعد جهد أن تتكلم وغيّرت الحديث إلى الكونتيسة:

ـ لقد قلت إن والدتك قد حضرت برنامجاً للأسبوع القادم.. هل تعلم ما هو؟

فابتسم وقال «كل ما أعلمه أنني سأدفع الفواتير!».

ـ اوه.. أتعني أننا سنذهب لنتسوق؟

واتسعت ابتسامته.

ـ انت أول امرأة أسمع خيبة أملها لهذه الفكرة!

ـ تسوق الثياب طالما أضجرني.

ـ ومع ذلك أصبحت موديلاً للأزياء؟

ـ لقد كان لديّ مصور مشهور قدمني للعمل. وهو قمة في عمله. وأصرّ دائماً على استخدامي في كل أعماله المهمة. لقد كنت محظوظة.

ـ هل ما زلت تقابلينه؟

ـ من؟

ـ المصور الذي تكلمتي عنه. أم أن هناك رجال آخرين ساعدوك؟

ولم يكن هناك أي خطأ بما يقصده، فاشتعلت غيظاً.

ـ لا يعجبني ما تلمح اليه.

ـ ولكنك تقدّرين الصراحة.

ـ صحيح.. ولكن...

ـ إذاً لماذا الادّعاء؟ إذا كنت عشت حياتك بطريقة خاصة، فلماذا تحاولين جعلي أصدّق أنك لم تفعلي؟ إلا إذا كنت خجلة من ماضيك.

واحمّر وجهها، ولكنها تحكمت بلسانها.

ـ أعتقد أننا اتفقنا على عدم البحث في الماضي؟

وبدا منزعجاً لدرجة أنها عضت شفتها لهذه الخشونة. ولكن عندما

عاد إلى الحديث، أخذ يتحدث عن مدرس اللغة الإيطالية الذي كتب له بأنه مسرور لتقدم تلميذته.

ـ وهل طلبت منه كتابة تقارير عني؟

ـ اعتبر أن الامر من دواعي الأدب عندما أرسل لي الفاتورة.

ـ لقد سررت بتعلم الإيطالية.

ـ واضح أنك تبذلين جهدك. ما هي خططك لبعد الظهر؟

ـ عادة أخرج مع جوليو في عربته. لماذا لا تسمح لي بالتنزه خارج أملاككم.

ـ تستطيعين المغادرة متى شئتي ولكن من دون الصبي.

ـ وهل تخاف أن أهرب به؟

ـ يا إلهي.. مثل هذه الفكرة لم تخطر لي. ولكن الولد ابن اخي. وقد يكون هدفاً للاختطاف. لم اكن أود أن اخبرك بهذا، ولكنك لم تتركي لي الخيار.

ـ انا سعيدة لأنك أخبرتني.. هذا يوقف شعوري بأنني سجينة.

ـ إذا رغبت في أخذ جوليانو خارج نطاق الأملاك، فلك الحرية ولكن بمرافقة حارس.

ـ لا.. لا.. سأشعر بالأمان أكثر بقرب المنزل، لقد ذكرت هذا لأنني.. لقد أسأت الحكم عليك. وأنا آسفة.

ـ مهما يكن، فأنت تعتذرين بشكل جميل يا لورا.

كان هذا أول إطراء يوجهه لها، وتساءلت إذا كان مدركاً لهذا الأمر. وأنعش هذا روحها وجعلها تتكلم معه دون توتر. وتشعب الحديث حول العديد من الأشياء، ولاحظت اتساع معلوماته بكل المواضيع التي طرقاها.

وأخذت تفكر بماذا سيفعله لو أنه اكتشف حقيقة هويتها. لم تكن تؤمن بأنه كعم لجوليو، لديه الحق بالطفل أكثر منها، ولكنه رجل في

عالم رجال، والأهم، أن لديه سلطة ومركز. لو أنها متزوجة وتستطيع أن تقدم لابن أختها منزلاً ملائماً، ورجلاً يحل مكان والده، لكان من الممكن أن تكون أمامها فرصة للاحتفاظ به. ولكن، والأمر كما هو عليه، من دون أدنى شك سيفوز عليها روبرتو. وصممت أن تركز على حاضرها. فهو يعتقد أنها ماري، وطالما الأمر هكذا لن تكون في خطر وتستطيع أن تبقى هنا مع الصبي، وجالت عيناها في اللوحات من حولها، وتذكرت فجأة آلات التصوير التي لم تستخدمها منذ أن وصلت. سوف تستخدمها لتصوير جوليو، فهي تحتفظ بألبوم مصور له، ولقد مضى أكثر من شهر منذ أن التقطت له آخر صورة، ومع ذلك فسيشغل هذا بعد ظهر يوم واحد وسيبقى لها عدد لن ينتهي من الأيام لتملأها بالعمل.

بعد انتهاء الغداء، دخل روبرتو إلى مكتبه، وصعدت لورا لتحضر ابن اختها. وخلال ساعة من الزمن دفعت العربة أمامها عبر الممرات الملتفة التي قادتها إلى مناطق لم تكتشفها بعد من الاملاك. هذه الأراضي ستكون رائعة الجمال في الصيف، حتى الآن والأشجار عارية والأرض دون أزهار تبدو بهيجة للنظر. والطقس الأفضل يقترب، وبعد بضعة أسابيع من الآن سيكون الطقس دافئاً، الصيف لا يطاق في روما، ولكنها تعلم أن هذا هو الوقت الذي ستذهب فيه مع الكونتيسة إلى توسكانا. هل سيرافقهما روبرتو أم يبقى هنا؟ ستسأل الكونتيسة بشكل عرضي. ولكن، لماذا عليها ان تهتم به؟ من المفترض أن يكون شقيق زوجها ومن الأفضل لها أن تفكر به بهذه الطريقة. ولكن كشقيق زوجها، ما يفعله، ومع من، من الطبيعي أن يهمها.

عند الرابعة والنصف أعادت ابن شقيقتها لرعاية روزا. وذهبت تبحث عن آلة التصوير. كانت تستخدم كاميرا أوتوماتيكية مع عدة عدسات متغيرة، لها فلاش اليكتروني يمكنها من التصوير في أي مكان. اليوم ستحضر الكاميرا، وغداً ستأخذ بعض اللقطات، وبعد غد ستظهرها. ولكن... ليس عندها هنا غرفة مظلمة للتظهير. نظراً للغرف الكثيرة هنا بدا الموقف سخيفاً. ولكن لو أن لديها غرفة لتعمل فيها، فليس لديها المعدات الكافية. وتمنت لو كان عندها التفكير السليم لتأتي بكل معداتها معها.

وتشوقت لتشرب فنجان شاي، فنزلت إلى غرفة الجلوس الصغيرة، ولم تصادف أي خادم في طريقها. ولكنها كرهت أن تقرع الجرس ليحضر أحدهم. واخذت تتجول في الغرفة ومن نافذة إلى أخرى. وفتح الباب ودخل أحد الخدم وقدم لها رسالة على صينية من فضة.

الرسالة كانت من صديقتها ليندا، رسالة طويلة مليئة بالأخبار والإشاعات حول أصدقاءهما المشتركين. وهذا ما جعلها تحنّ الى وطنها أكثر. ولكن آخر فقرة من الرسالة أبعدت عنها شفقتها على نفسها، لأن ليندا، لسبب لا تعرفه شحنت كل معدات الغرفة المظلمة لها إلى روما.

ـ «لقد كلفت كثيراً، وسترين ذلك عندما تستلمين الفاتورة، ولكن هذا سيكون كنقطة في محيط بالنسبة للمليونير».

وابتسمت لورا، كان من الجيد أن تقترح ليندا عليها أن يدفع روبرتو الفاتورة. ولكنها لم تكن تنوي أن تتركه يكتشف بأنها سترتاح من الضجر في سكناها هنا.

ـ ما الذي يجعلك تبتسمين هكذا يا لورا؟

وأجفلت عندما سمعت صوت روبرتو وقد دخل الغرفة.

ـ كنت أظنك لا تزال تعمل؟

ـ لقد أتيت لأشاركك الشاي.

ـ ولكنني لم أطلبه.

ـ لقد طلبته لك.

ـ هذا تفكير جيد منك.

ـ أنا رجل جيد التفكير.

ـ انت تتمتع بتدبير حياة الآخرين.

وحاول الرد، ولكن الخادم دخل وهو يجرّ طاولة الشاي أمامه. وفي الوقت الذي غادر فيه الغرفة كان روبرتو قد فكر جيداً بما سيقول. وصبّت لورا الشاي وناولته فنجانه. وسألته فجأة:

ـ هل ستحضر الكونتيسة العشاء معنا؟

ـ لا.. ولكن اوليفيا ستتعشى معنا.

ـ إذاً سأتناول عشائي في غرفتي.

ـ ولماذا؟

ـ ليس لي مكان بينكما انتما الاثنان.

ـ لو أنني كنت أرغب في العشاء معها لوجدنا لرتبت الأمر على هذا.

وهزت كتفيها لتظهر عدم اهتمامها لكلتا الحالتين. ولكنها كانت تعلم أنها تكذب على نفسها، لأنها كانت تشعر بالتوتر في حضورها، مع أنها قابلتها لوقت قصير.

وتقدم روبرتو نحو الطاولة وأعاد ملء فنجانه، وتناول بعض البسكوت، وقال متسماً:

ـ من الجيد أنني لا أكون في المنزل بعد الظهر دائماً، وإلا لأصبح الشاي عندي عادة.. هل كنتي دائماً مشغولة بالتصوير؟ بالتأكيد العمل كموديل أسهل؟

ـ اعتدت أن أعمل القليل من الاثنين معاً، وكان من الممل أن أعمل موديلاً طوال الوقت.

ـ وهل تشعرين بالملل لكونك سيدة خالية من العمل؟

ـ أحب كل دقيقة من حياتي هنا. قصر أعيش فيه، خدم يقدمون لي كل شيء. ولا حاجة لأن أحرك اصبعاً طوال اليوم، هذا بالضبط هو تصور الفتاة العاملة عن الجنة!

وكأن الملاحظة هذه لم ترضِه، لأن فمه تقوس عند الزوايا.

ـ من المؤسف أن أخي ليس معك ليشاركك هذه السعادة.

ـ لا أعتقد من الضروري الحديث عن جوليانو، بعض الأشياء ليست بحاجة لوضعها ضمن كلمات.

ـ انا آسف.. ولكن عندما كنت تتكلمين الآن اعتقدت أنك نسيتي أخي.

ـ وهل تريدني أن أتحدث عنه طوال الوقت؟

ـ بالطبع لا! أنت على حق يا لورا. ارجوك أن تنسي ما قلته.

وقبل أن تفكر بشيء مناسب تقوله، غادر الغرفة.

بعد بضع دقائق خرجت تبحث عن الخادم لتسأله إذا كان هناك مكان ضيق مظلم تستطيع تحويله إلى غرفة تظهير. وبعد تردد قادها إلى الطابق الأول وتجاوز جناحها، ثم سار في ممر آخر ليصل إلى غرفة كان واضحاً أنها كانت تستخدم كغرفة مؤنة، إذ ليس لها نوافذ، مما يوفر عليها جهد إغلاقها، والأهم أن فيها مغسلة وماء جاري. كذلك يوجد رف على طول أحد الجدران على ارتفاع الخصر، تستطيع استخدامه لوضع الصواني، وماكينة التجفيف، ويوجد أيضاً عدة خزائن لتضع فيها أوراق التصوير والسائل اللازم للتظهير. فقالت:

ـ لا يمكن أن تكون أفضل حتى لو حضرتها بنفسي.

وبدا السرور على وجه الرجل.

ـ إذا أخبرتيني أين ترغبين في وضع كل شيء، سأفعلها بنفسي..

ـ لن أعلم هذا قبل وصول كل شيء. ولكنني سأحتاج إلى كهربائي..

ـ هناك واحد في المنزل، فالأسلاك هنا بحاجة إلى صيانة دائمة.

من المذهل كيف أن الامور سارت بهذه السهولة، وتوجهت لورا إلى جناح الطفل لتؤدي مهمتها الليلية في تغسيل الطفل. كانت تتمتع بهذا الوقت من النهار أكثر من أي شيء آخر. في لندن. كانت تصل إلى المنزل متعبة، فلم تكن تشعر بالمتعة، ولكن هنا في «البلازا» فقد كان الروتين يغلب على أيامها، وكانت تمضي وقتاً أكثر من اللازم في فرك جوليو بالصابون، وتركه يلعب في الماء وحوله لعب البط والقوارب الطافية، تلك الليلة كان مسروراً جداً، وأخذ يضرب الماء بيده حتى أنه بلّل خالته. وبعد ان أخذ وقتاً أكثر من كاف، أخرجته من الماء ولفته بالمنشفة، ولكنه أخذ يضرب بيديه ويركل بقدميه طالباً العودة إلى الماء، وكان صعباً عليها أن تستمر بحمله وهو في هذه الحالة الغاضبة، وأسرعت إلى الكرسي الصغير قرب الطاولة التي وضعت عليها ثيابه. وما إن جلست وبدأت تجففه، حتى لاحظت أن روبرتو كان يقف هناك قرب النافذة. وسألها وهو يرفع صوته فوق ضجيج الصبي:

ـ هل يفعل كل هذه الضجة كلما استحم؟

ـ ليس عندما يكون في الماء، فقط عندما يخرج منه.

ـ سأهدئه...

ورفعه عمه بين ذراعيه، واستمر جوليو في الصراخ ثم توقف فجأة فقال روبرتو:

ـ إنه بحاجة إلى التعامل معه بصرامة.

ثم وضعه في حجر لورا، فقالت وهي تصرّ على أسنانها:

ـ أحياناً تنجح هذه الطريقة وأحياناً لا. ومن حظك أنها نجحت هذه المرة.

ـ جوليانو يحترم عمه.. لهذا التزم الهدوء!

وأنهت تجفيف ابن أختها، ورشت عليه البودرة، وألبسته ثياب النوم. وحملته بانتظار روزا لتحضر له طعامه. وعندما دخلت روزا، توقفت مندهشة لرؤية الكونت. وسألت لورا:

ـ هل تريدين أن أطعم جوليانو؟

ـ لا سأطعمه بنفسي.

ومدت يدها لتأخذ الملعقة عندما قررت أن تعطي الطفل لروبرتو قائلة «أنا واثقة أنك ترحّب بإطعامه».

وجلس روبرتو على الكرسي الذي أخلته لورا ووضع الطفل على حجره. فقالت «الأفضل أن أغطي بنطلونك، فقد ينثر بعضاً من طعامه».

ـ قد ينثره.. ولكن أنا لن أفعل!

وكتمت ضحكة، ووضعت منشفة على ركبتي روبرتو، ثم وقفت لتراقبه وهو يطعم الصبي. كانت تظن أنه لن يعرف كيف. ولكنها دهشت لبراعته. هل كل الرجال الإيطاليون بارعون مع الأطفال؟ أم أن روبرتو له صفات خاصة؟ وانتظرت إلى أن أنهى الطفل طعامه، وفرك عينيه بقبضتيه، ووقف العم بعد أن قبّله قبلة ناعمة، وهو لا يزال يحمله وتمتم «إلى الفراش الآن» ونظر إلى لورا «أترغبين أن تضعيه في الفراش بنفسك أم نضعه سوية؟» وهزت رأسها بالإيجاب وسارت أمامه نحو فراش الطفل. وكانت غرفة نومه مظلمة قليلاً مما جعلها حميمة جداً، ومرة أخرى شعرت برجولية الرجل الواقف بقربها.

وبحذر وضع روبرتو الطفل في سريره. وسألها:

ـ أليس لديه وسادة؟

ـ بالطبع لا. أرى أن معرفتك بالأطفال ليست كما كنت أظن.

ـ ليس لي معرفة بالأطفال.

ـ ولكنك تدبرت أمرك معه ببراعة.

ـ الحب معلم ممتاز.

ـ وهل تحبه؟

ـ طبعاً. إنه ابن جوليانو... كل ما بقي لي من أخي. وبالتأكيد تفهمين من بين كل الناس ما أشعر به؟

ـ بالطبع أفهم.. ولكن المرأة تشعر برد فعل عاطفي، والرجال عادة لا يشعرون هكذا.

ـ أعتقد أنك ستجدين أن الرجال يشعرون هكذا، ولكن معظمهم تربوا على عدم إظهار مشاعرهم. الرجال الإنكليز يشعرون بالخجل من إظهار مشاعرهم، ولكننا نحن لا نخجل منها..

وتثاءب جوليو، وانحنت لورا تقبله قبلة النوم، وجعلها هذا قريبة جداً من روبرتو الذي كان ينحني فوق السرير بدوره. ووقفت بسرعة وابتعدت عنه. ووقف أيضاً، والتفت اليها.

ـ ألا زلت لا تحبيني يا لورا؟

ـ ليس هناك سبب يجعلني أغير رأيي فيك.

ـ هذا ليس صحيحاً! في البداية اعتقدتِ أنني سآخذ منك ولدك.

ـ وما زلت تنوي هذا.. لقد قلت إنني إذا رغبت في ترك القصر يجب أن أترك جوليو هنا.

ـ لا أحد يطلب منك أن تتركي القصر. قلت لك ان تعتبري منزلي كمنزلك تماماً.

ـ منزلك لن يكون منزلي أبداً! دعني أعيش حياتي كما أريد يا روبرتو! كم تنوي أن تبقيني هنا؟ لماذا لا أستطيع العيش مع الطفل لوحدنا؟

ـ لأنه من عائلة ماسيني، وسوف يكبر هنا!
ـ لو أن جوليانو ما زال حياً..
ـ كنت ستعيشين هنا ايضاً.
من العبث النقاش معه، وأظهرت إشارة الهزيمة، لأنها تعلم أنها ستهزم دائماً اذا اصطدمت مع هذا الرجل. وقالت بغضب:
ـ أنت تنتظر مني أن اذهب.. ولكنني لن أفعل.
ـ لديك عادة مزعجة بتكرير ما تقولينه. أرجوك لا تقولي هذا ثانية!
ـ يوماً ما سآخذ الطفل وأهرب!
وعلمت على الفور أنها اخطأت بكلامها هذا، فقد أسرع وأمسك يدها بقبضة كادت أن تكسر معصمها وقال بغضب:
ـ لن تأخذيه من هنا أبداً. وإذا لم تعطيني وعداً بهذا، سأضطر الى إعطاء تعليمات بأن لا تتركي لوحدك معه.
ـ لن تفعل هذا!
وحدقت في وجهه، ورأته وقد عبق بالغضب ولم تعد عيناه مرئيتان فأجابت نفسها «بل ستفعل».
ـ هل تعطيني وعداً؟ إما أن تعديني أو..
ـ أجل.. ولكنني أكرهك لإجباري على هذا.
ـ أستطيع العيش مع كراهيتك يا لورا.
ـ وأنا كذلك!
ـ ولكنني لا أكرهك.. بل على العكس، لديك العديد من المزايا التي تعجبني.
ـ وهل هذا مصدر إزعاج لك؟
وارتفع فمه إلى جانب واحد.
ـ في الواقع، هذا يدهشني، ولكنك شابة مليئة بالاشياء المدهشة يا لورا.

٨ ـ حديث حول الأخلاق

بما ان اوليڤيا ستتناول العشاء معهم، اعتنت لورا باختيار ملابسها لتلك الأمسية. ولكن سرورها بثوبها المخملي الأخضر الواسع الكمين الضيق على جسمها، تلاشى عند وقوع نظرها على اوليڤيا التي برزت أناقتها بثوب من الاوركانزا الأسود وقد زينت جيدها وأذنيها بالجواهر. وتمالكت نفسها وتقبّلت الشراب الذي قدمه لها روبرتو. وجلست، ومن زاوية عينها رأت أن الفتاة الإيطالية تراقبها. وأظهرت النظرة على وجه الفتاة الكراهية، وعلمت لورا أن هذه النظرة هي لأسباب مختلفة عما تشعر هي به نحوها. وتساءلت عن السبب. وسألت اوليڤيا:
ـ وكيف تجدين إقامتك هنا؟
ـ إنه منزل لي بعيداً عن منزلي.
ـ وماذا تفعلين خلال يومك؟
ـ لديّ الطفل.. ويمكن أن يشغلني طوال الوقت.
ـ كنت اظن أن روزا تعتني به
ـ إنها تتولاه عندما أكون مشغولة.

ونظرت اوليڤيا إلى روبرتو:

ـ لا أظن أن هذا يسعد روزا. لقد كنت تقول لي إنها مسيطرة تماماً على شؤون الطفل.

ـ ما قلته إنها تشعر بالسعادة عندما يكون هناك أطفال تعتني بهم.

ـ إذاً أنت تزعجها بعدم تركها تكون سعيدة.

ـ ما أهتم به هو سعادتي أنا. وليس سعادة روزا!

وتدخلت لورا بالحديث:

ـ اظن أن السنيوريتا جوڤياني على حق. وأنا متأكدة أن والدتك تحب أن تراك متزوجاً.

ـ كل النساء اللواتي أعرفهن يريدونني أن أتزوج. ولكن السؤال، هل أحب أنا ذلك؟ ولكن لسوء الحظ، بالنسبة للزواج لا أستطيع تطبيق قوانينكم.

ولم تفهم لورا مباشرة ماذا يعني، ولكنها تذكرت.

ـ أتعني قوانين الزواج؟

ـ بالضبط، لا أستطيع تطبيق شعاره.

وسألت اوليڤيا: «وما هو هذا الشعار؟».

ـ إذا لم تنجح فحاول وحاول وحاول.

فقالت لورا:

ـ ولكن الطلاق مسموح هنا في إيطاليا.

ـ اجل.. ولكن ليس بالنسبة لعائلة ماسيني.

وضحكت اوليڤيا «لقد علمنا الآن لماذا أنت حريص لهذه الدرجة». وعلّقت لورا «أحياناً، كلما كنت حريصة أكثر كنت عرضة للخطأ أكثر»، ونظرت إلى روبرتو لتجده يحدق بها وباوليڤيا بسرور وعلمتا أنه يتمتع بسماعهما تتناقشان حوله، وانزعجت لأنها تلعب دوراً يرضيه. فقالت ببرود:

ـ اعتقدت دائماً أن الغرور وحده هو الذي يدفع الرجل لأن يبقى أعزب. وليس هناك من باعث للضجر أكثر من رجل مغرور!

فابتسم وقال:

ـ لورا فرد من أفراد العائلة. ولها حرية التكلم معي أكثر من أية امرأة أخرى.

ومازحته اوليڤيا:

ـ أكثر مني.. حتى؟

ـ أنت لكِ وضع خاص..

ورفع يده إلى خدها. وأدارت لورا وجهها كي لا ترى هذه الحركة. ولكن قبل ان تبعد نظرها لاحظت النظرة التي رمقها بها روبرتو، ولم تستطع فهمها.

ودخلوا أخيراً إلى غرفة الطعام، ولاحظت أنه أخذ برأيها عن كآبة غرفة الطعام بعين الاعتبار، فوجدت أن الغرفة مليئة بالزهور وعدة دزينات من الشموع في شمعدانات فضية، مما أعطى جواً لطيفاً من حولهم. وجلس روبرتو على رأس الطاولة، وجلست المرأتان الى جانبيه. وكلما رفعت لورا نظرها وجدت اوليڤيا تحدق بها. في لقائهما الأول شكت بأن الفتاة لا تحبها، ولكنها الآن متأكدة من الأمر. لا يمكن أن يكون هذا الشعور مبعثه الغيرة، بل قد يأتي فقط من عدم ثقتها بروبرتو. ولكن لو كان روبرتو غير جاد حول علاقته باوليڤيا، فلماذا يقابلها دائماً؟

هذه الفتاة الإيطالية، مناسبة تماماً لدور الكونتيسة ماسيني، بالميلاد والأصل. ومن العجيب أن روبرتو ما زال متردداً، من الواضح أن حريته تعني له الكثير، وبما انه يعتبر الزواج قيداً، فإن هذا ما يجعله حذراً، ولكن، ولأنه يؤمن بالروابط العائلية، فمن الواجب عليه ان يكون

مهتماً باستمرار هذا الخط، ولا يستطيع ان يترك كل هذا على كتفي طفل لا يزال في الشهر السابع من عمره. لا.. من واجب روبرتو أن يبدأ بالتفكير جدياً بالزواج، وعندما يفعل، فإن لورا واثقة أنه سيختار اوليڤيا. واقلقتها هذه الفكرة، وتساءلت في نفسها لماذا عليها ان تهتم بمن سيتزوج. وقالت اوليڤيا:

ـ أظن أن علينا ان نقيم حفلة للورا لتقديمها إلى اصدقائنا. سنقيم حفلة مفاجئة الأحد المقبل، لو استطعت أن أجمع كل من أرغب بدعوتهم.

ـ وهل ستجمعين كل شباب روما العابثين؟ اظن أن لورا لن تهتم بهم.

ـ ليسوا كلهم من العابثين، وأعتقد أن لورا ستكون مسرورة بلقاء بعض من هم غير مرتبطين من الرجال.

وقال روبرتو بصوت جاف بشكل غير متوقع:

ـ أظن أن لورا لا تزال في حداد على جوليانو.

ـ لقد مر أكثر من سنة على وفاة جوليانو. ولا يمكن ان تبقى في الحداد إلى الأبد.

واحست لورا بوقع نظرات روبرتو عليها، وعلمت أن موافقتها على اقتراح اوليڤيا لن يكون مناسباً. فبسبب الحب المفترض ان تكون تشعر به لجوليانو، لا يتوقع روبرتو منها أن ترغب في لقاء أي رجل آخر. وقالت:

ـ اوليڤيا تحاول فقط أن تكون لطيفة معي. البقاء في المنزل بوجه عابس لا يعني الحداد، كما أن لقاء الغرباء لا يعني نسيان ذكرى من تحب.

فقال ببرود:

ـ افعلي ما هو مناسب. فلم أكن حارساً لأخي، ولن أستطيع أن أكون حارساً لزوجته.

فردت عليه لورا بنعومة:

ـ ولكنك تلعب دور حارسي. فأنت تبقيني هنا.

فعلقت اوليڤيا قائلة:

ـ إنك تجعلين الأمر يبدو وكأنك سجينة.

ـ هذا مجرد كلام..

ولكن النظرة التي رمقت بها روبرتو من تحت اهدابها أوضحت أنها تعني ما تقول. وضغط على شفتيه، واعاد اليها نفس النظرات، قبل أن يلتفت إلى اوليڤيا بابتسامة دافئة، وكأنه يعوضها عن الانتقاد الذي وجهه اليها.

بعد تناول القهوة، نظر إلى ساعته وقال لاوليڤيا:

ـ سأكون مستعداً لإيصالك بعد نصف ساعة، هل يناسبك هذا؟

ـ مناسب تماماً.

وتركها مع لورا وخرج. فقالت لها:

ـ روبرتو صاحب آراء متشددة يا لورا، وليس من الحكمة مجابهته.

ـ لا أرى سبباً لمعاملته برقة الاطفال.

ـ ولا حاجة لك للتطرف لجذب انتباهه.

ـ جذب انتباهه؟

ـ بالطبع، فالجدال معه طريقة جيدة لإثارة انتباهه لك. معظم من يعرفه يعترف له بالنباهة والمقدرة على النقاش.

ـ وكذلك أنا، ولكن هذا لا يعني أنني يجب أن أوافق معه على كل ما يقوله. من الواضح انك مؤمنة جداً بروبرتو.

ـ اجل.. هذا صحيح. لا يستطيع احد غيره ان يكون مسيطراً على قطاع هام من الصناعة بهذه القوة، إنه قطاع من قطاعات الاقتصاد عندنا، لا يهتز أبداً.

ـ لقد بدأ عمله مع إمكانيات كبيرة.

ـ روبرتو كان سينجح مهما كان وضعه المالي.

ـ نحن نراه من وجهات مختلفة، روبرتو شقيق زوجي، ولكن...

ـ لا حاجة بك للتظاهر معي. أنا أعلم أن جوليانو لم يتزوجك. ولكن من مثاليات روبرتو أنه فعل ما هو صائب وأتى بك مع الولد هنا.

ـ من المؤسف أنه لم يفعل ما هو صائب عندما كان جوليانو حياً.

ـ لا تستطيعين لومه لالتزامه بمبادئه.

ـ أية مبادىء؟ وهل مركزه العالي يعطيه الحق بإدانة من لا يعيش الحياة التي يرغب فيها هو؟

ـ بعض الاشياء تبقى خاطئة دائماً. ولكن بالنسبة لهذا الموضوع لن نتوافق ابداً. الانكليز هذه الأيام عندهم أخلاقيات مختلفة عنا.

وحبست لورا انفسها، فقد كانت تعلم أن الأخلاقيات ستدخل إلى النقاش عاجلاً ام آجلاً، وأخلاقيات ماري بشكل خاص. ولكنها هي ماري الآن، ويجب أن تتذكر هذا.

ـ قلة الأخلاق الوحيدة التي أعرفها هي القساوة والحسد، والطمع.

ـ أرجوك، لا تظني أنني أحكم عليك. كنت أتحدث بشكل عام، وليس عنك.

ـ ولكنك كونت رأياً عني.

ـ كان من الصعب عليّ أن لا أفعل. روبرتو متشدد حول مشاعره، وبما أنني أحبه...

وتوقفت، وكأنها ندمت على ما قالته، ومع ذلك فإن لورا كانت واثقة أن كلامها الطائش كان متعمداً. فقد أرادت اوليڤيا أن تثبت حقها بروبرتو. ومرة أخرى أحست أن الفتاة تخاف منها.

فشعرت بطريقة غريبة بالسعادة، بالرغم من أنها تعلم أن هذه المخاوف لا اساس لها. فلم تكن تعني شيئاً لروبرتو، ولا يعني لها

شيئاً. فهما يعيشان تحت سقف واحد بسبب الطفل فقط.

وأشارت اوليڤيا بيدها وتركت كرسيها وسارت لورا أمامها نحو غرفة الجلوس الصغيرة، الصغيرة حسب قياسات القصر، فقد كانت واسعة جداً حتى أنها تماثل الشقة التي كانت تسكنها مع ليندا. وأحست فجأة بشوق لرؤية صديقتها.

وجلست اوليڤيا أمام المدفأة، وبقيت لورا واقفة، لأنها لم تكن ترغب باستمرار التحدث معها. وقالت:

ـ أرجوك أن تعذريني، لديّ اشياء أريد أن أفعلها.

فابتسمت اوليڤيا:

ـ لا حاجة بك لمرافقتي. فأنا في منزلي كما أنت تماماً.

وذهبت لورا نحو الدرج لتصعد إلى غرفتها، وفي الطابق الأول التقت بروبرتو، وخمنت بأنه كان مع والدته، وانتظرت حتى اقترب منها لتسأله عن حال الكونتيسة.

ـ إنها أفضل حالاً بعد إجبارها على الراحة. ولكنها غاضبة لهذا السبب، هل انت ذاهبة لرؤيتها؟

ـ لم اكن أفكر بهذا، ولا أظن أنها ترغب في أن أزورها.

ـ ولكنها ستسر برفقتك يا لورا. فهي لا تحب أن تترك لوحدها مع أفكارها.

ـ وهذا سبب اعتقادي بأنها لن ترغب في الجلوس معي. أشعر أنها ستنظر إليّ وتلومني على ما حصل لجوليانو.

ـ ولماذا تلومك؟ لم تكوني مسؤولة عن الحادثة!

ـ ولكن لو لم يلتقي.. يلتقيني، لكان تخلى عن سباق السيارات واستقر هنا.

ـ لو أن أحداً يجب أن يلام، فهو أمي وأنا. تصرفنا معه هو الذي ابقاه بعيداً، وليس أنت.

وأحست بمرارته، فتمنت لو أنها لم تتكلم بهذا الموضوع:

ـ ومع ذلك فأعتقد أن وجودي هنا هو تذكير دائم لكم بشيء تفضلون نسيانه.. لو أنك تسمح لي بأن آخذ...

ـ الطفل سيبقى هنا، لقد قلت لك إننا لن نناقش الأمر أبداً.

ـ لقد تكلم الكونت، ويجب أن ينفذ قانونه!

واستدارت باتجاه غرفة الكونتيسة وهي تسأل:

ـ هل هي على الجهة الأخرى من الممر؟

ـ سآخذك إليها بنفسي.

ومشى بقربها، وخطواته لا تُسمع فوق السجاد. وقال:

ـ أتمنى أن تكوني متحفظة عندما تلتقين بأصدقاء اوليڤيا.

وفاجئتها ملاحظته، فتوقفت عن السير ونظرت إليه:

ـ وماذا يعني هذا؟

ـ يعني أنك من عائلة ماسيني. وأتوقع منك أن تتصرفي كواحد منها.

ـ كيف تجرؤ أن تقول لي كيف سأتصرف؟

ـ أجرؤ على أي شيء لحماية عائلتي، ليس الاسم الذي يهمني، بل الناس الفخورين بحمله.

ـ مثلك أنت!

ـ مثل أمي.. لقد عانت ما فيه الكفاية.

ـ لم تكن هذا غلطتي!

ـ انا لا ألومك. أنا فقط أحاول أن أفهمك لماذا أريد منك المحافظة على لياقتك، فأنا أعرف الحياة التي عشتيها قبل أن تلتقي بأخي و...

ـ كنت أظن أننا لن نتكلم عن الماضي؟

ـ أفعل هذا لشرح الحاضر فقط، كيف تصرّفت قبل أن تأتي إلى

هنا لا يهمني. ولكنني أهتم بما سوف تتصرفينه الآن.

ـ وما الذي يجعلك تظن أنني قد أتغير؟ الفهود لا تستطيع تغيير ألوانها المنقطة!

ـ أنت من البشر. ولا يجب أن تشبهي نفسك بحيوان. أنا لست في موقف الحكم عليك أخلاقياً يا لورا. لقد أحبك جوليانو واستطاع ان يسامحك على كل ماضيك.. ولكن أنا...

ـ انت لا تعرف شيئاً عن حياتي!

ـ لقد كنت موديلاً مشهورة، واسمك كان متداولاً في الشائعات.

ـ الشائعات؟ وكيف تجرؤ على الحكم عليّ بما تقوله الصحف؟ لن أسمح لأحد أن يقول لي ما أفعل أو كيف أتصرف. حياتي ملك لي واذا كنت أريد أن اتمتع بها فسأفعل!

ـ ليس إذا رغبتي في البقاء هنا مع ابنك.

ـ إذاً عليك إبلاغ اوليڤيا أن تلغي الحفلة.

ـ لا... إنه خطأ مني أن أعتقد أنك ستستمرين في الحزن على جوليانو، اوليڤيا محقة بهذا الأمر.. وأنا أحذرك...

ـ لا تكرر نفسك!

وتابعت سيرها. ووصلا الى باب من الخشب وتوقف روبرتو:

ـ سأقول لك عمت مساء يا لورا، أرجوك لا تخبري والدتي بشجارنا.

ـ لا حاجة لأن تقول لي هذا. قد لا أملك أخلاقاً حسب رأيك، ولكن على الأقل اعتبر أن لديّ بعض الذكاء!

ومرت أمامه وقرعت الباب، ودخلت بعد أن أجابتها الكونتيسة وأغلقت الباب في وجه روبرتو.

٩ ـ حارس الليل

بقاء الكونتيسة في الفراش أعطاها بعض الحيوية. ولثلاثة ايام تلت خرجت هي ولورا بعد الظهر للتسوق: وزارتا عدة مؤسسات للأزياء، حيث أصرّت على لورا أن تختار عدداً من الثياب لو أنها دفعت ثمنها بنفسها لأفلستها لسنوات قادمة. ثمن الفساتين البسيطة كان مرتفعاً جداً، ولكن الكونتيسة كانت ستطلب المزيد لولا أن احتجت لورا.

عند نهاية الاسبوع امتلأت الخزانة الكبيرة في غرفة نومها بالملابس، وكان العديد أيضاً بانتظار أن يصل، وهذه كانت نظرة الكونتيسة لخزانة ثياب الصيف فقط! وشكّت لورا وهي ترتدي ثيابها للعشاء يوم الجمعة مساءً ما إذا كانت ستتعود على طريقة صرف الكونتيسة للمال: الشراء دون سؤال عن الكلفة، طلب أي شيء قد يلفت نظرها في المعارض.

ورفضت لورا بشكل قاطع قبول شراء الجواهر. فالملابس مهما كانت جميلة ومكلفة، ستستهلك يوماً، ولكن الجواهر دائماً تحتفظ بقيمتها والقبول بها سيكون وكأنها تقبل مالاً. ولأن حياتها هنا مرتكزة على أكذوبة، فهذا شيء لن تفعله أبداً.

وأسرعت نحو الممر وسمعت الضجة في الطابق الاسفل، ونزلت السلم، وتوقفت عند باب غرفة الجلوس. كانت تدرك بأنها ستظهر بشكل مختلف بالثياب الفاخرة التي ترتديها، وبالطريقة الجديدة التي سرحت بها شعرها: ثوبها كان بلون الزمرد الأخضر بلون عينيها تماماً، تفصيلته الرائعة جعلته يتناسب تماماً مع جسدها وكأنه جلد ثاني لها، ياقته مفتوحة عند العنق، تدعو الى ارتداء الجواهر، ولكن بما أنها لم تكن تملك ما يناسب فقد تركته كما هو. وبمجرد ملاحظة التعبير على وجه روبرتو وهي تدخل، أدركت بحدة أنها ليست بحاجة إلى الجواهر. كان غريباً ما تشعر به من حساسية عندما تكون بقربه، وقال لها إنه يتوقع زائرين بريطانيين على العشاء معهم.

ـ ربما تعرفينهم.

وسمى لها اثنين من ملوك المال، معروفين جيداً، فقالت بجفاء:

ـ إنهما غير معروفين في محيطي!

ـ اعتقدت أن الجميلات ممن يعملن موديلات يخلقن محيطهن الخاص.

وأدهشها هذا الهجوم المفاجيء. لأنه كان دائماً حذراً بما يقوله أمام والدته. وتساءلت ماذا فعلت لتثيره هكذا. فردت عليه.

ـ المشاهير يصنعون حقولاً جاذبة خاصة بهم.

وسمعت الكونتيسة تضحك عالياً وتقول:

ـ لقد التقيت بند لك في لورا يا بني. ما عداي أنا، إنها الوحيدة التي تعرف كيف تجيبك؟

ـ أنت على حق يا أمي.. يجب أن أكون حذراً معها.

وسألته الكونتيسة «ما رأيك بمظهر لورا؟».

ـ عندما توضع جوهرة جميلة في إطار جميل لا يمكن إلا أن تلمع أكثر.

ـ لورا لا تلمع.. إنها مشعة.

وحدق بها قائلاً «هذا صحيح.. إنها كالياقوتة، حمراء ومشعة بنار خفية».

وأحست لورا بالإحراج فقالت:

ـ هذا قول غير عادي! لا يعني أن لي شعر أحمر أن عندي شخصية كالياقوت. وكأنك تقول إنني زمردة لأن لي عينان خضراوان.

وقال بصوت منخفض لم يسمعه سوى هي:

ـ او أنك أفعى لمجرد أن لك لساناً لاذعاً!

وضحكت لورا، وقد لاحظت مزاحاً في كلامه أكثر من القساوة. وعلمت أنه دهش لردة فعلها، فرفعت رأسها لتنظر إليه وجهاً لوجه، وهذا شيء نادراً ما فعلته. وقالت له بهدوء مماثل لطريقة كلامه:

ـ يجب أن تكون حذراً، ولا تعلقني على صدرك.

ـ لو فعلت هذا سأتأكد أولاً من نزع سمك!

وسألتهما الكونتيسة:

ـ بماذا تتهامسان؟

ـ لقد شبهني ولدك بالأفعى..

لو كانت تأمل من صراحتها هذه أن تحرجه فقد فشلت، فقد رمقها بنظرة شريرة وقال:

ـ كل النساء من الأفاعي يا أمي. تلك التي رأتها حواء في جنة عدن ليست سوى تجسيد لعقلها الباطني. فهي لم تكن بحاجة إلى أفعى لتلفت النظر إلى نفسها، ولا لإدراك سيطرتها على آدم.

ورفع كأسه نحو أمه أولاً.. ثم نحو لورا:

ـ نخب المرأة.. الغاوية الأبدية...

فأجابت لورا:

ـ نخب الرجل... الذي يحب دائماً أن يقع في الإغواء.

ومع أنهما كانا بعيدان عدة ياردات عبر الغرفة فقد شعرت وكأن عيناه تلتقطان عينيها. وكأنه تقريباً لمسها فأخذت ترتجف فجأة، ثم شعرت بالراحة عندما صدرت أصوات من الردهة تعلن وصول ضيوف روبرتو.

بعد انتهاء العشاء، اخذ روبرتو ضيفيه إلى جناحه الخاص، وترك لور والكونتيسة لتلعبا الورق. ومن أجل ان تتمرن لورا على اللغة الإيطالية، لم تكن الكونتيسة تحدثها بالانكليزية، وكانت تعجب دوماً بالتقدم الذي أحرزته.

ـ بطريقة ما أنا سعيدة لأنك مختلفة عما كنت أتوقع، وبطريقة أخرى أنا حزينة.

ـ حزينة؟

ـ لأنني لم أصدق جوليانو عندما قال كم أنت جميلة. هل غيرتي لون شعرك بعد أن مات؟ هل بقاؤك شقراء كان يذكرك به؟.

ولم تعرف لورا ماذا تعني الكونتيسة بقولها، وترددت، من حسن حظها أن الكونتيسة عزت هذا التردد إلى الإحراج وفزعت لورا عندما رأت الدموع على الوجه الأسمر الجميل، فقد أظهرت الكونتيسة مشاعرها الحقيقية من قبل ولكنها لم تظهر الدموع أبداً. فقالت لها متوسلة:

ـ أرجوك سامحيني... لم أقصد أن أزعجك أبداً.

ـ لا تعتذري يا طفلتي.. لقد ولد جوليانو لنا في عمر متقدم، ولهذا سيبقى في نظري طفلاً، وأنا سعيدة لأن تنظري إليه هكذا ايضاً.

عند العاشرة ذهبت الكونتيسة إلى النوم. ولم تكن لورا تشعر بالنعاس، فخرجت إلى الحديقة. وفكت ازرار معطفها الاعلى وأخذت تتمشى. كانت قد استكشفت جزءاً كبيراً من الاملاك خلال

نزهاتها مع ابن اختها في الحدائق. ولكنها بسبب دفعها لعربة الطفل دائماً لم تكن تنظر كثيراً حولها. وهي الآن حرة. وبعد قليل لم يعد القصر يبدو لها، ولم تلاحظ كذلك أي ممر مألوف مما كانت تستعمله. وتوقفت محاولة استعادة حواسها. وفي مكان ما على الشجر سمعت صوت عصفور، صوت غريب بدا وكأنه صوت إنسان. وعلى الفور تقريباً قفز أمامها أحد الاغصان، فاستدارت، وشعرت بقلبها يخفق وهي تحدق في الظلام لترى من يتقدم نحوها. ولكن ليس من أحد هناك. وعاد صوت العصفور ثانية، ثم سمعت صوت قفز أحد الاغصان ثانية، هل هو بسبب تحرك العصفور، أم أنه إشارة من رجل؟

وقالت لنفسها بصوت مرتفع «لا تكوني سخيفة» آملة أن يطمئنها سماع صوتها، ولكنها لم تسمع سوى صوت الصدى في الظلام وجعلها هذا أكثر إدراكاً لعزلتها بين الاشجار من الممكن أن تُهاجم بينها دون أن يراها أو يسمعها أحد.

وتراجعت بخطواتها بسرعة، ولكن بدلاً من أن تصل إلى مكان مكشوف وجدت نفسها في جزء كثيف أكثر من الغابة. الأشجار هناك طويلة، أطرافها العالية ملتصقة ببعضها بحيث أنها لم تستطع رؤية السماء من فوقها. واقشعر جلدها، وتصاعد الخوف في نفسها. وصاح عصفور آخر. ووقعت بعض الأوراق الجافة على الارض، وسمعت نقيق بومة، كان قريباً جداً من أذنها حتى أنها أوشكت أن تسقط خوفاً. ولكن هذا لم يكن شيئاً أمام الرعب الذي لفها عندما شاهدت شبحاً قاتماً يتحرك من وراء شجرة ليتقدم نحوها، فصاحت بصوت مبحوح «من هناك؟».

كل ما تعلمته من إيطالية، نسيته لحظتها تماماً، حتى أنها بالكاد استطاعت التفكير بالإنكليزية. أرادت أن تركض، ولكنها تسمرت

حيث هي. مثلها مثل الاشجار من حولها، فقالت بصوت مهتز:

ـ إذا اقتربت مني أكثر.. سا.. سأطلق عليك النار!

ـ بماذا؟ بشرارة من عينيك كما أعتقد؟

كان هذا صوت روبرتو، يأتي من الظلام، وبشهقة ارتياح، رمت نفسها بين ذراعيه. وأجفل عندما أحس بجسدها يتلامس مع جسده، ثم مد ذراعيه وأمسك بخصرها. وقال:

ـ كنت مذعورة حقاً.. أليس كذلك؟

كان في صوته رنة ضحك، ولكن كان فيه الاهتمام ايضاً، فقالت وهي لا تزال ترتجف، وتكوّر نفسها بين ذراعيه:

ـ كان هذا سخفاً مني!

ـ سخافة أن تأتي إلى هنا لوحدك... ولكنني أؤكد لك أنك سالمة هنا. فالاراضي هنا محروسة جيداً.

ـ صحيح؟.. ولكنني لم أرى أحداً.

ـ لقد مرت عدة أضواء إنذار ضمن نظام الأمن الالكتروني...

وهزها قليلاً.

ـ كيف تظنين أنني وجدتك؟

وقطبت جبينها وابتعدت عنه ونظرت من حولها.

ـ وهل حراسك متنكرين على شكل شجيرات؟

فضحك وقال:

ـ لا.. ولكنها فكرة جيدة.

وانحنى قليلاً ليزيح احدى الشجيرات.

ـ هناك واحد من الأضواء السرية، لا يمكن للعين البشرية رؤيتها. عندما يسير أي انسان من خلالها، يظهر هذا على لوحة الإنذار.

ـ أتمنى أن لا يكون هناك أرانب كبيرة في الجوار.

ـ لا يوجد سوى من له آذان طويلة، ولكنها تنفع لإبقاء الحارس

متيقظا!

وابتعد عنها قليلاً وقال بهدوء:

ـ لا بد أنك سافرت كثيراً في العالم... ومع ذلك فلا زلت رقيقة قابلة للانكسار.

ـ بالتأكيد أنا لست هكذا عندما أكون مرتدية الجينز! فعندما اتيت لرؤيتي في ذلك المعرض هاجمتني وكأنني من الوزن الثقيل.

ـ السبب كان روحك المتحدية.. تجعل المرء ينسى حجمك.

وفي الظلام سمعت صوت ثقاب، وتوهجت الشعلة ثم انطفأت بالتدريج واشتمت رائحة سيكار «هافانا» وقال لها:

ـ أخي أشار مرة إلى أن روحك مرحة، وليست متحدية.

ـ أخوك كان له عدة تسميات لي.

ـ أعلم.. الفتاة الذهبية واحد منها. أتساءل ماذا كان سيدعوك الآن؟.

ـ زنجبيل ربما؟

ـ ابداً.. هذا يشبه لون سكان البورغاندي في فرنسا، كان بإمكان هوميروس أن يصفك بشكل أدق. ولكن هذا ترك لي...

لا أستطيع تصورك شقراء، فهذا يخالف شخصيتك تماماً.

ـ لقد كنت ناجحة كشقراء.

ـ أعلم.. ومختلفة بالطباع أيضاً، عما أنت عليه الآن.

ـ أحاول أن أتناسب مع ما يحيط بي.

ـ لقد نجحت بهذا أبعد مما كنت أتوقع. لقد قالت لي أمي الليلة إنها تشعر بأنها لم تكن أسعد حالاً أبداً منذ وصلتي. وهذا الكلام يصدر عن امرأة كانت عدوتك اللدودة مرة، هو إنجاز رائع.

ـ أنا سعيدة لأن والدتك تحبني، فقد أحببتها كثيراً.

ـ وأنا؟ ألم تحبيني بعد؟

ودهشت للسؤال، وقررت أنه يحاول مضايقتها:

ـ لا أعرفك جيداً بعد حتى أحبك، في بعض الأحيان كرهتك!

ـ الكراهية قريبة من الحب.

ـ إذاً ربما أنا متعلقة بك!

وضحك «لقد عرفت أنك لن تخيبي ظني».

ـ الجو جميل...

ـ وكذلك أنت. أنت تختارين ملابسك بشكل رائع يا لورا. يجب أن تحتفظي بلبس البنطلون للشاطىء فقط. الفساتين أجمل عليك.

ـ أنا أرتدي ما أجده مريحاً. واذا استمريت باطرائي ستجعلني أشعر بعدم الراحة.

ـ ألست معتادة على الإطراء؟

وعضت شفتها، هذا سؤال مشحون بالمعاني، واذا لم تكن حذرة فستفضح أمرها. كم سيكون مذهولاً لو أخبرته أنها قد فعلت المستحيل لتتأكد من عدم تلقيها إطراءاً، وكم كانت مصممة على أن تعامل كمصورة ناجحة بدل معاملتها كفتاة جميلة.

ـ أنت تأخذين وقتاً طويلاً للإجابة عليّ يا لورا.

ـ بالطبع أنا معتادة على الإطراء، ولكنني لست معتادة على تلقيها من رجل مثلك!

ـ وهل أعتبر هذا إطراء لي.

ـ كم أنت مغرور بنفسك!

ـ هذا لأنني أعرف قيمتي؟

ـ تقديرك لنفسك قد لا يكون كتقدير الآخرين لك.

ـ وكيف تقدريني؟

ـ لقد أخبرتك، أنا لا أعرفك بما فيه الكفاية لأكوّن رأياً عنك.

ولم تكن ترغب في متابعة الحديث، فاستدارت نحو القصر وبدأت تسير فقال «الوقت متأخر للذهاب الى روما».

والتفتت لتواجهه، ولم ترى سوى الاحمرار المنبعث من السيكار.

ـ أنت تسيرين نحو البوابة الرئيسية. والقصر في الاتجاه الآخر.

واستدارت بسرعة، ففقدت توازنها وكادت تقع لو لم يسرع للإمساك بها فقالت «شكراً لك على إنقاذي من السقوط» ولكن عندما حاولت تركه ومتابعة السير، اشتدت قبضته عليها. وقال بغضب:

ـ ومن سينقذني؟

ودون أن تتوقع جذبها وعانقها بشدة. قبضته كانت قاسية ولكن شدّه على جسدها كان ناعماً ورقيقاً، ولم يكن هذا تصرف تتوقعه منه مما أصابها بالدهشة. وحاولت تخليص نفسها منه، ولكنه لم يتركها. فارتعشت وهي تحس بحرارة أنفاسه ودون أن تعلم ماذا تفعل استسلمت إلى عناقه، وشعرت بأنها صغيرة ودون دفاع بين يديه، وعلمت كم من السهولة عليه أن يسحقها. قلبه كان يخفق بقوة، وكانت قريبة من صدره بحيث انها أحست أن قلبه إنما يخفق بداخلها. ولكن مجرد الشعور بأنها إنما تدّعي بأنها ماري، جعلها تتوقف عن الانجذاب اليه، لقد كانت تتوق اليه ولكن كلورا وليس كماري، ليس كفتاة لم يعد لها وجود. وهمست له «روبرتو أنا لست...» إنه أمر مؤلم أن تكمل كلامها ودفنت وجهها في صدره «أعلم كيف تفكر بي، وعليّ أن أقول لك الحقيقة... أنا لست...».

ـ هس.. لا أريد أن أتكلم عن الماضي. لقد انتهى. انت هنا الآن، وسنفكر فقط بالمستقبل.

ومد يده الى شعرها تتخلله، «أشعر وكأنه نار على يدي، ومثل النار انت تحرقين قلبي».

ـ ولكن يجب أن أتحدث اليك، أريدك أن تعرف...

ـ لا يا لورا، لا أريد تفسيرات هذه الليلة.

وابتعد عنها ولكنه أبقى يدها بيده.

ـ لندخل إلى المنزل.. الهواء رطب ولا أريدك أن تصابي بالبرد...

لم يكن قد أظهر الاهتمام بها من قبل وارتجفت من السعادة.

ـ أحب كثيراً أن تعتني بي يا روبرتو.

ـ لقد قلت لك إنني دائماً أعتني بأفراد عائلتي.

ـ أهكذا تراني؟

وبدأ السير معها، خطواته واثقة، وكأنه قط يرى في الظلام. ولم يرد على سؤالها، ولكن يده بقيت ممسكة بيدها، دافئة وقوية. وبعد قليل ظهر القصر أمامهما، الأضواء المنبعثة من النوافذ تضيء الظلام في الخارج. ووقف حارس مسلح عند الباب الأمامي، ورأت واحداً آخر عند البوابة التي لم تقفلها عندما خرجت، لا بد أن غيابها لوحظ منذ أن خرجت، وشعرت بالإحراج بأنها كانت مراقبة بعيون غير مرئية. ترى إلى أي مدى تستطيع هذه العيون أن ترى؟ كم تستطيع أن تخمن الحقيقة؟ إنها حقيقة يجب أن تقولها لروبرتو قبل أن يكتشفها. ولكنه جعل الأمر واضحاً بأنه لا يرغب في حوار جدي هذه الليلة. وقالت له وهي تشد أكثر على يده:

ـ ارجوك دعني أتحدث إليك في وقت قريب.

فرد عليها همساً:

ـ غداً يوم آخر. وسيكون أمامنا الكثير من الوقت للكلام.

☆ ☆ ☆

١٠ ـ لا تعجبني أخلاقك!

استفاقت لورا عند الفجر. وشعرت بالسرور للحياة الفاخرة التي تحياها عندما جلبت لها كبسة جرس الخادمة، ومعها كوب مليء بشراب الشوكولا الساخنة، وقطعة «كرواسان» لا تزال ساخنة أيضاً. لم تعد بحاجة لأن تصحو في شقة باردة، أو تدخل إلى المطبخ البارد لتحضر التوست والقهوة. وأخذت ترتشف الشوكولا. وتفكر بحقيقة مشاعرها نحو روبرتو. واعترفت على مضض بأنها قد وقعت في حبه.

الرغبة في إخباره حقيقة هويتها، والتي كانت قوية الليلة الماضية، تلاشت الآن بسبب تخوفها من ردة فعله. لو تستطيع التأكد فقط من أنه قد يفهم لماذا تظاهرت بأنها شقيقتها، لكانت أسرعت لتخبره الحقيقة. ولكنها لم تكن متأكدة أبداً. إنه رجل ساخر ومتشكك حتى أنه سيعتقد سريعاً بأنها ادّعت بأنها شقيقتها لتؤمّن لنفسها حياة فاخرة. وقد ينظر إلى ترددها في المجيء إلى هنا وكأنه تمثيلية قامت بها لخداعه. وكيف سيصدق بأنها فعلت هذا بدافع حبها لابن اختها، وتصميمها على عدم الافتراق عنه؟

ولكن روبرتو يحب الطفل أيضاً، وهذا بالطبع سيساعده على تفهم دوافعها؟

بعد ان استحمت، وغيّرت ملابسها، توجهت إلى جناح الطفل. وهي تلعب معه، كانت ترهف السمع لتسمع صوت روبرتو. وأخيراً لم تعد تطيق البقاء هناك، ونزلت إلى الطابق الأرضي، آملة أن تعلم اين هو. والتقت بالخادم آتياً ليخبرها بأن عدة صناديق قد وصلت لها فقالت له:

ـ إنها معدات غرفة التظهير. . ضعّها في الغرفة التي أريتني إياها. ساصعد إلى هناك حالما أنهي درسي مع البروفسور. . هل الكونت ماسيني في القصر هذا الصباح؟

ـ أجل سنيورا. . إنه مشغول مع سكرتيره.

وهزت لورا رأسها، وتوجهت إلى درس الأستاذ، وبذلت جهدها لتركز على درس القواعد بينما تفكيرها كله مع روبرتو، مع وصول معدات التصوير. كان الأمر وكأن نصفين منفصلين من حياتها سيعودان الى الاجتماع. وأعطاها هذا الشعور مزيداً من الثقة. إنها لورا سيتوارث، وليست ماري، ومن السخف أن تكون خائفة من إخبار روبرتو بالحقيقة.

بعدما ذهب الأستاذ، خرجت لتفتش عن الخادم، لتجد أنه والكهربائي قد وضعا معداتها في الغرفة المظلمة الجديدة. وقال الكهربائي:

ـ كل شيء سيكون جاهزاً بعد الظهر.

وتركتهما وهي سعيدة، ونزلت إلى غرفة الجلوس، لتجد رزمة كبيرة موضوعة على الطاولة. ولاحظت خط ليندا عليها. لا بد أنها شُحنت مع المعدات. وفتحتها لترى أنها مجلات قديمة، تمنت من كل قلبها لو أن ليندا لم ترسلها. كانت مجلات جمعتها ماري طوال

سنين، وكلٌ منها تظهر، مهمة مختلفة نفذتها عبر العالم. وجاءها صوت روبرتو:

- إلى ماذا تنظرين. بهذه الدقة؟

ورمت المجلة من يدها وهي تستدير لتحييه. وبدا لها بأنه ليس متأكداً من مشاعرها كما هي غير متأكدة من مشاعره، وابتسمت له ابتسامة واثقة:

- لم اكن أعرف أنك ستتغدى في المنزل.

- لقد كنت مصمماً على الغداء هنا اليوم، أليست أمي هنا؟

- لقد أرسلت تقول إنها يمكن أن تتأخر.

- هذا يعني أن لدينا وقتاً للتحدث. ولكن لنرتاح قبلاً، لقد أمضيت الصباح بعمل مضني.

- يبدو عليك التعب.

- في الحقيقة أنا أعاني من التعب. ولكنني في الأسابيع الأخيرة كان أمامي الكثير مما يشغل فكري.

لهجته أشارت أنه لم يكن يقصد المصانع التي يديرها، فخفضّت عينيها بقلق. وسار نحو طاولة الشراب، فتذكرت على الفور أن المجلات هناك، فرفعت رأسها بحدة، ولكن بعد فوات الأوان، فقد التقط إحداها، وكانت صورة ماري على الغلاف الخارجي، وانتظرت أن يتكلم وهي تشعر بالتوتر.

- من أين أتت هذه؟

- لقد أرسلتها صديقتي التي كنت أشاركها الشقة، لقد وصلت اليوم.

- إنك تبدين غريبة بهذه الأوضاع.

- لا تزعج نفسك في التفرج عليها إنها قديمة.

- ولكنك لست قديمة..

وتمنت لورا بقلق أن لا يلاحظ أن أختها أطول منها، ولكن كلماته التي تلت بددت أملها. «أنت تبدين طويلة هنا» فأجابته «الرجل الذي إلى جانبي كان قصيراً» وحدّق روبرتو بالصورة مجدداً «لا بد أنه متوسط القامة لان عيناك عند مستوى عيناه».

- لست أدري لماذا تظن أن من يعمل موديلاً يجب أن يكون طويلاً. إنه كمن يظن أن مغنيات الأوبرا يجب أن يكون عندهن صدر عريض!

فضحك، وارتاحت كثيراً عندما أسقط المجلة من يده، ولكن الارتياح تلاشى عندما التقط أخرى وأخذ يقلب صفحاتها. التغيير الفوري في تعبيرات وجهه جعلها تتساءل ماذا رأى يا ترى. اهي صورة لها مع ماري؟ وكأنما أزعجه ما رأى فرمى المجلة من يده. وحدّقت بها من بعيد، لتجد أنها مليئة بصور ماري تعرض ملابس داخلية، كانت المرة الوحيدة التي عرضت فيها مثل هذه المنتوجات. وقال روبرتو:

- هل كنت تقومين بمثل هذه الأشياء دوماً؟

- أية.. أية أشياء؟

- لا تقولي إنك لا تتذكرين!

ورمى لها المجلة فالتقطتها. كانت تعرف أن ما أثار روبرتو هو الغيرة. ونظرت إلى الصورة لتجد ماري متمددة على فراش مغطى بالمخمل الأسود، وقد كشفت الملابس الداخلية أكثر مما سترت، واحمّر وجه لورا وقلبت صفحة أخرى لتكشف عن وضع أكثر إثارة، فأدارت وجهها وأغلقت المجلة ووضعتها على الطاولة بقربها.

- إنها جزء من عملي.. لا يمكن أن أفكر بها أكثر من هذا.

- وهل قمت بمثيل لها؟

- إنها المرة الوحيدة.

- وما الذي جعلك تفعلين هذا؟

- لقد دفعوا لي مبلغاً ضخماً.

- ولماذا لم تفعلي غيرها؟

وبللت شفتيها، أسئلته اصبحت محرجة جداً، لا تستطيع الإجابة عليها دون فضح نفسها، ولكن أن تقول الحقيقة له في هذه اللحظات ليس بالأمر الحكيم، لأنه كان بادي الغضب، ولن يستمع إليها. وقال مكرراً سؤاله:

- لماذا لم تفعلي غيرها؟

- لأنني.. لأنني لم أكن مسرورة من هذه... لم أكن أدرك أنها ستكون هكذا...

- وكيف توقعت أن يكون التعري إذاً؟ والألبسة الداخلية ملتصقة بك هكذا؟

- ليس هذا مهماً. لقد كانت عملية واحدة يا روبرتو، ولم أكررها ابداً.

- ما يثير اشمئزازي أنك فعلتي هذا أصلاً! هل كنت بحاجة إلى المال كثيراً؟

- كنت بحاجة دائمة لمزيد من المال.. ولم اكن أعلم أنها ستكون فاضحة.

وسار بغضب إلى حيث وضعت المجلة، واخذ يتفحص الصور، وينظر إليها وكأنه يقارنها بها. وقال بخشونة:

- لم تترك هذه الصور شيئاً للخيال. على الأقل إذا نظر الرجل إليها سيعرف ماذا سيشتري!

- لا تتكلم هكذا! هذه قساوة وغباء! الرجال لا يقرأون هذه المجلات على كل الأحوال.. إنها للنساء.

- ولكن من التقط الصور رجل.. ورجال من وكالة الإعلانات

وافقوا عليها، ورجال من شركة «اللانجري» حدقوا بها.. يا إلهي ألم يكن لديك أي خجل؟

- لقد كانت مهنتي!

- مهنتك!

وركز على الكلمة حتى بدت مهينة، لا شك في معناها.

- كيف تجرؤ على نعتي هكذا!

والتقطت المجلة وضربته على وجهه بها، وترك حد المجلة أثراً على خده. وصرخت ثانية:

- كيف تجرؤ أن تكلمني بهذه الطريقة؟ الذين يرون بأن هذه الصور سيئة، هم رجال لهم افكار قذرة مثلك!

وهل تنظر إلى فن «روبن» او «غويا» باحتقار؟

- لا تستطيعين مقارنة الفن الحقيقي بهذه، ولا تستطيعين مقارنة صور «بلاي بوي» بفن «روبن»! فالرسامون الحقيقيون، الفنانون الأصيلون، يرسمون من شعورهم الحقيقي. هذه مجرد صور جنسية رخيصة مصممة لإثارة المخيلة!

- وهذا بالضبط ما تفعله معك!

- ولماذا لا؟ فأنا رجل!

وقبل أن تعرف ماذا سيحدث، جذبها بحدة إلى ذراعيه، يد تمسك برأسها والأخرى تحيط بها. لم يكن هناك أي حنان بقبضته فقط تصميم على امتلاكها بالقوة إذا لزم الامر. واحتاج إلى القوة فعلاً، لأنها أخذت تضربه بقبضة يدها، تدير رأسها من جانب إلى جانب، في جهد لتجنب النظر إلى وجهه. وتصاعد الدم إلى رأسها، وأخذ قلبها يخفق بصوت مرتفع حتى أنه طغى على كل صوت. وشعرت وكأنها ستفقد الوعي من غضبها، عندما دفعها فجأة عنه، وانهارت في مقعد وهي ترتجف.

ـ لمن هن مثلك، فقد قمت بتمثيلية رائعة للبراءة. ولكن يلزمني أكثر من المقاومة كي أخدع.

ـ لا أحد يستطيع خداعك؟ وهل تعتقد أنك تعرف كل شيء عني؟

ـ أجل.. أعرف، وما أعرفه لا يعجبني!

وأحست بخطواته الغاضبة تقطع الغرفة، وصفق الباب وراءه، فانهارت ووضعت رأسها بين يديها.

ودخلت الكونتيسة الغرفة، وأسرعت لورا لإخفاء دموعها ومحاولة لملمة المجلات، ولكنها تأخرت، إذ وضعت الكونتيسة يدها على إحداها ونظرت إليها ثم رمتها على الطاولة فأسرعت لتضعها مع باقي المجلات على الطاولة.

ـ هل ترغبين في أن تريها لجوليو عندما يكبر؟ أنا شخصياً أفضلك كما انت الآن. فلديك الآن شخصية محددة.

يقولون إن الكاميرا لا تكذب، ولكن في حالتك أظن أنها تكذب.

ـ أنت متفهمة جداً يا كونتيسة.

ـ أعتقد أن ابني لم يكن كذلك. لقد التقيته غاضباً في الردهة.

ـ لم تعجبه الصور، إنه لا يفهم أنني عندما كنت موديلاً لم أرى نفسي أكثر من علاّقة للملابس.

ـ روبرتو ينظر إليك كامرأة شابة وجميلة، ولا يحب أن يفكر بالرجال وهم يشتهونك.

ـ إنك تجعلين الأمر يبدو وكأنه يغار عليّ.

ـ أظن أنه كذلك... ولكنه لا يدرك. لقد شجعتيه، وسيقع في حبك!

وحاولت لورا أن تفكر بكلمات مناسبة. هل ما تقوله الكونتيسة هو شيء تخاف أن يحصل؟ هل تأمل بوضعه ضمن كلمات تستطيع أن تمنع حدوثه؟ من الصعب التصديق أنها تقول واقعاً، وسترحب بنتيجته

عندما يظهر. وأجبرت نفسها أن تنظر إلى المرأة مواجهة:

ـ اعتقدت أنك أردتِ من روبرتو أن يتزوج اوليفيا؟

ـ هذا ما تتمناه اوليفيا، وإذا لعبت أوراقها جيداً قد تكسب ما يشتهيه قلبها. ولكن هذا لا يعني أن روبرتو لا يشعر بك. لقد استحوذت عليه بطريقة لم تفعلها امرأة من قبل.

ـ ولكنه يحتقرني. لقد أخذ عني فكرة، ولا شيء أقوله أو أفعله يمكن أن يغير هذه الفكرة.

ـ اتركي هذا للزمن.

وصمتت لورا، وهي تعلم أن الزمن إنما سيعمل لصالح اوليفيا.

ـ أنت تتكلمين وكأنك لا تمانعين إذا.. لو أنني وروبرتو...

وتوقفت عن الكلام، وتذكرت ماري التي مُنعت من القدوم إلى القصر، مع أن ابنها الآن يُعتبر أحد الورثة.

ـ كان من الأفضل لو أظهرتم تفهماً أكثر مع جوليانو عندما أراد أن يأتي بي إلى هنا.

ـ القليل من البشر يُعطى فرصة لإصلاح أخطاءه. ولكنني أُعطيت هذه الفرصة، بإمكانك تسمية هذا إراحة لضميري، إذا شئت.

ـ لن تجدي روبرتو متساهلاً هكذا. فهو يكرهني.

ـ هكذا قلت منذ لحظات. ولكن الكراهية تشير إلى شعورٍ ما، وعندما تكون مثل هذه المشاعر موجودة بين رجل وامرأة فقد تقود إلى العديد من الأشياء.. لو كنت مكانك...

وتوقفت عن الكلام عندما دخل الخادم ليقول إن الغداء جاهز. وسرّت لورا لتجنب المزيد من الحديث، لأنه لو استمر لوجدت صعوبة في إخفاء حبها لروبرتو. لم تكن تعرف إذا كان سيتناول الطعام معهما، ولكنها شعرت بالغبطة والاضطراب معاً عندما رأته في غرفة الطعام. وهذا يعني أن رأيها به صحيح، فمهما كان الانفعال الذي سببته له، فلن يدع قلبه يتحكم بعقله.

ومنعها الأدب أن تغادر الطاولة إلى أن ذهبت الكونتيسة الى غرفتها، ثم ذهبت إلى جناح الطفل لتراه. وأشارت روزا إلى دمية دب الباندا من الحجم الكبير من زاوية الغرفة «إنها هدية من الكونت».

وظنت أنها لعبة قد تساعد الطفل على الوقوف، فذهبت لتتفحصها فوجدت أنها دمية عادية وقالت روزا:

ـ الكونت قال لي إن الأطفال يحبون أن يعانقوا لعبة في الفراش معهم!

ـ هذه لعبة لطفل عملاق!

ـ إنها هدية من القلب.

كلماتها هذه جلبت الدموع لعيني لورا. فروبرتو يحب الطفل حقاً، ومن الحماقة إنكار هذا، وليس الكبرياء وحده الذي يدفعه للاحتفاظ بالطفل. وفُتح الباب ودخل روبرتو، وكانت مسرورة لأنها كانت تحمل الطفل، واستدارت لتواجهه مستغربة اختياره لهذه اللحظات لدخول جناح الطفل في وقت يعلم بأنها تكون هناك.

وأدرك أن وجوده هنا لم يكن متوقعاً فقال:

ـ لقد سمعت صوت الصبي، ودخلت لأراه. ألا تخرجين معه عادة بعد الظهر؟

ـ لقد كان عنده حرارة خفيفة اليوم.

ونظر روبرتو إلى روزا وتكلم معها بالإيطالية، وأجابت لورا فوراً قبل أن تجيب روزا.

ـ لا لزوم لدعوة الطبيب. إنه رشح عادي. لقد أُصيب به من قبل وسيكون على ما يرام غداً.

ـ ولكن لو استمرت الحرارة...

ـ أرجوك لا تثر مشكلة.

ـ ولماذا لا أثيرها؟ أنا عم الطفل.

ـ وأنا أمه. دعوة الدكتور كلما عطس ستحوله إلى مريض بالوهم.

ـ في سن الثمانية أشهر لن يعرف حتى أنه طبيب.

ـ الأطفال يتصرفون على أساس المشاعر والجو.

وكانما ليثبت وجهة نظرها أخذ جوليو بالتململ بين ذراعيها وأصبح على وشك البكاء. فقالت له «ما رأيك بالركوب على الباندا؟».

وحملته، وبدأت تهزه صعوداً ونزولاً. وتقدّم روبرتو من خلفها قائلاً: «إنه ثقيل عليك هكذا».

ووضع يديه قرب يديها وأمسك بالطفل من وسطه، وتراجعت لورا على الفور. وقالت بجفاء:

ـ إذا كنت ستبقى هنا لتلاعبه، فسأعود فيما بعد.

ـ أرغب في التحدث معك يا لورا.

ـ لقد قلت ما فيه الكفاية.

ـ لا... أنا... أرجوك.. لن نستطيع الكلام هنا، سأذهب إلى غرفة جلوسك.

وأسرعت بالخروج، متخوفة مما يريد أن يقوله. هل سيطردها من القصر؟ لو كانت تعرف ما هو موقفها القانوني، وما إذا كانت بوصفها خالة جوليو، لها نفس الحقوق عليه مثل روبرتو.

وقرع الباب ودخل، وشعرت بقلبها ينخلع من مكانه. وقال على الفور «أرغب أولاً أن أعتذر لأنني فقدت أعصابي معك... لم يكن لدي حق أن أقول ما قلته».

ـ لقد قلت ما كنت تشعر به!

ـ وهذا لا يجعله حق. تصرفي معك لم يكن له عذر.

ـ انسي الأمر. لقد نسيته أنا. أنت رجل عالمي يا روبرتو.. ولكن بطريقة ما لا تزال ساذجاً.

ـ ألأنني أؤمن أن على المرأة أن تحافظ على احترام نفسها؟

ـ أنا لم أخسر احترامي لنفسي.. وها أنت تعود إلى إهاناتك!

ـ آسف.. لا أعرف ما بي. لم أتشاجر أبداً مع امرأة من قبل كما فعلت معك.. لا أستطيع أن أفهم لماذا.

ـ هذا لأننا مختلفان جداً.

ـ ممكن، ولكنه اختلاف يجب أن نحاول نسيانه.

ـ لن نتمكن من نسيانه أبداً.

ـ لصالح الصبي يجب عليّ أن أنسى. إلا إذا كنت راغبة في تركه هنا؟ سأتأكد من حصولك على كل شيء حتى تستطيعين أن تبدأي حياة جديدة، ولا حاجة لأن تعملي موديلاً بعد الآن. أو حتى تزعجي نفسك بالتصوير.

الفقرة الأخيرة من كلامه أزعجتها أكثر من الأولى.. لا تزعج نفسها بالتصوير، وكأنه شيء تعمله لتمضية الوقت بدل أن يكون موهبة تعمل على تطويرها لتصبح في القمة. فقالت ببرود شديد:

ـ لا تستطيع شراء جوليو مني، إذا بقي هو، سأبقى. ولكن من الواضح أنك لا توافق على بقائي معكم، لذا الأفضل أن تتركني أعيش معه بمفردنا، وسأبقى في روما إذا كنت مصراً، وأوافق على استبقاء روزا ايضاً.

ـ من الاسهل عليّ السيطرة عليك وأنت هنا، فأنت لوحدك فتاة تتكيف مع المحيط. وما هي نوع الحياة التي ستعيشينها لوحدك؟ كأرملة ماسيني الثرية ستكونين هدفاً لكل محتال!

ـ تتكلم وكأن لا رأي لي في المسألة. أي نوع من الفتيات تظنني؟

ـ لن نخوض بهذه المسألة!

وارتفعت ذراعها، ولكن نظرته الغاضبة جعلتها تمنع نفسها فأدارت له ظهرها!

ـ اخرج من هنا يا روبرتو.. لقد أتيت لتعتذر، ولكنك جعلت الأمور أسوأ مما كانت.

ـ اعلم.. أنت فتاة خبيرة وتضعيني دائماً في موقع المذنب. يجب علينا أن نتعلم السيطرة على أنفسنا أكثر.

ـ أنا لم أفقد أعصابي أبداً.

ـ ما عدا الليلة الماضية.

وتوقف تنفسها في حنجرتها، وكانت مسرورة لأنها لم تكن تواجهه وقالت «هذا مخالف لكل الأعراف الأخلاقية يا روبرتو».

ـ أنا أرفض أن أعتذر لك دوماً!

ـ في هذه الحالة أقترح أن لا نرى بعضنا قدر المستطاع. وهذا على الأقل سيمنعك من الاعتذار ثانية.

ـ هل كنت عنيفة هكذا مع أخي؟

ـ لم أكن بحاجة لهذا. لم يتصرف معي أبداً كما تفعل أنت.

ولم يقل أية كلمة، وبعد لحظات سمعت صوت الباب يفتح ثم يغلق. وأخذت الكاميرا والفلاش وذهبت نحو جناح الطفل وأمضت الساعة التالية بالتقاط سلسلة من الصور، أمام ذهول روزا وسرورها.

ـ الا تحبين أن يرتدي ثياباً أخرى؟

ـ أريده مرتاحاً قدر المستطاع. ستكون الصور رائعة. أنت تبدين وكأنك غير راضية.

ـ أرجوك سنيورا.. أنا راضية.

وبينما هي تنظر إلى الأعلى، التقطت لها لورا صورة وأنهت بذلك الفيلم الثاني.

وأخذتهما إلى الغرفة المظلمة، وبدأت تظهرهما. كم سيكون روبرتو مندهشاً لو أنه رآها الآن؟ وتركت الأفلام في صينية التظهير، وذهبت إلى غرفتها لتغير ملابسها استعداداً للعشاء.

من المدهش أن هذا اليوم الذي بدأ بالتعاسة، ينتهي بالسعادة: لا السعادة ليست الكلمة الصحيحة.. إنها الرضى، هذا مناسب أكثر.

وأدركت باقتناع ثابت أن الطريقة الوحيدة للبقاء هنا هو الاستمرار في عملها. ولكن هناك حد للأوقات التي تستطيع فيها تصوير ابن اختها. وهذا يعني أن عليها أن تجد مواضيع أخرى للتصوير. ولكن كيف ستجد هذا وهي غريبة في مدينة غريبة؟ وبقي السؤال عالقاً، والرد عندما سيأتي سيكون غير متوقع ومفاجىء.

☆ ☆ ☆

١١ ـ ديك فخور

ابتهجت روزا بالصور التي التقطتها لورا لجوليو وضحكت بصخب للصورة المفاجئة التي التقطتها لها. ذلك اليوم كانت ذاهبة عند اختها بعد الظهر، وسألت إذا كان بإمكانها أخذ الصور معها كي تراهم شقيقتها.

ـ لم أكن أعلم أن عندك مثل هذه الموهبة سنيورا، بإمكانك أن تصبحي محترفة.

ـ كنت محترفة، وسأبقى إذا وجدت عملاً.

ـ السنيورا لا تعني هذا جدياً؟

ـ بالطبع أنا جادة. أنا مستعدة لتصوير أي شيء، الحفلات، الزواج، المآتم.. اطلبي أي شيء شئت وساصوره!

ـ ولكن امرأة من عائلة ماسيني لا تعمل.

ـ هذه الامرأة تنوي العمل، مع أنني لا أعرف كيف أبدأ.

عندما عادت روزا في وقت متأخر من المساء، كان عندها الحل... فشقيقتها تعمل مربية لثلاثة أطفال لعائلة أميركية، وقد شاهدت أمهم الصور...

www.rewity.com

ـ لقد قالت السنيورا وليامس إن الصور رائعة، وسألتني عن اسم المصور، ولم اعتقد أنك ترغبين في ذكر اسمك، لذا قلت إنني سأرتب الأمر لتتصلي بهم الليلة، زوجها يعمل في السفارة الأميركية، وهم عائلة ممتازة.

لقد كانت أكثر من ممتازة، فهذه المهمة قد تقود إلى مهمات قادمة. لم تكن قد صورت الأطفال من قبل، ما عدا ابن اختها، ومع أنها غير واثقة من النجاح، فلم يكن أمامها سوى هذه الفرصة.

وبعد حوار قصير مع الأميركيين، تم تدبير أمر تصوير الأطفال الثلاثة يوم الاثنين، وأقفلت الهاتف وهي تشعر بالرضى، شعور لم تعرفه منذ وصولها إلى القصر.

هذا الرضى لم يستطع حتى تذكّر حفلة اوليڤيا أن يذهب من بريقه. ولولا أنها تعلم أن روبرتو لن يحب الفكرة، لاتصلت بها وادعّت المرض.. ولكن بسبب روبرتو، تحملت عناء الاعتناء بمظهرها بشكل زائد مساء الأحد، فارتدت اجمل فساتينها، لونه أخضر زمردي وأزرق من الحرير، تفصيله الرائع جعل القماش ينساب فوق جسدها بجمال اخاذ.

كان روبرتو يمر بالردهة عندما نزلت الدرج، وتوقف ليحدق بها. وارتجفت لورا، وأغضبها معرفتها أن الرجل يؤثر عليها بهذه الطريقة ومع ذلك لا يتأثر. ولكن لا شيء يمكن أن يؤثر بروبرتو ماسيني.

ووصلت إلى نهاية الدرج، وأحدث كعب حذاءها الفضي صوتاً على الرخام. ووقفت على بضع أقدام منه. لم يكن فيها شيء من البراءة هذه الليلة، شعرها مربوط عالياً فوق رأسها، وقد تدلت خصلات التفت حول أذنيها، ومع أن التسريحة هذه جعلتها تبدو أطول قامة، إلا أنها بدت قصيرة أمام الرجل العريض الكتفين. وعلّق قائلاً:

ـ كان مناسباً أكثر أن ترتدي ثوباً أسود. أخي لم يمض على وفاته

سوى خمسة عشر شهراً.

ـ أنا لست أرملته.. لقد أكدت هذا بنفسك!

وتنفس بحدة، وأدركت أن ردها قد أصابه في الصميم.

ـ بالنسبة للناس، أنت أرملته.

ـ لست أنوي أن اكذب إذا سألني أحد. أنا فتاة عازبة يا روبرتو.. حرة ولست مرتبطة!

ـ أنت مرتبطة بالطفل. وإذا كنت فعلاً تحبينه، ستكونين حذرة بما تقولينه.

وأشاحت بنظرها عنه، عندما يستخدم جوليو، فإن في يده سلاحاً لا تستطيع مقاومته. وقال:

ـ لقد تأخرنا.. يجب أن نذهب.

تعيش اوليڤيا في شقة مفروشة مزدوجة «دوبلكس» في قلب المدينة. وكانت تتوقع أن تجد منزلها مماثلاً لمنزل روبرتو، ولم تستطع لورا إخفاء دهشتها. فقال لها مفسراً:

ـ عائلة أوليڤيا تعيش في فينيسيا أغلب أيام السنة، وهذه الشقة الشتوية، وتقيم فيها أوليڤيا معظم أوقات السنة.

ـ بسببك أنت كما أعتقد.

ـ ستتهميني بالغرور لو قلت «نعم».

ـ حتى ولو لم تقل نعم، فأنا أعتبرك مغروراً.

الابتسامة التي ظهرت على شفتيه لم تصل إلى عينيه، اللتين بدتا وكأنهما عينا صقر تراقبانها وهي تدخل الصالون الكبير وقدّمتها اوليڤيا إلى الحضور.

وكما توقعت لورا، تحلقت النساء حول روبرتو وكأنه رادار ملتقط، مع أنه لم يبدِ الاهتمام وبقي إلى جانب لورا. وشعرت أن هذا، ليس بسبب أنه يريد البقاء معها، بقدر ما هو لخوفه. أن يتركها لوحدها

حتى لا تسيء التصرف. ربما كان يتوقع منها أن ترفع أطراف ثوبها لترقص «الكان كان»، او أن تعبث بسخاء مع الرجال العديدين الذين ينظرون إليها بإعجاب ظاهر. ودفعها هذا الإعجاب الى أن تلتفت نحو روبرتو وتسأله ما إذا كان ينوي الالتصاق بها طوال الأمسية.

ـ فكرة الحفلة أصلاً، هي لمساعدتي في توسيع دائرة اصدقائي. ولن يجرؤ أحد على الاقتراب مني وأنت تراقبني كما تراقب الدجاجة صيصانها.

ورغماً عنه، ابتسم ابتسامة صغيرة:

ـ على الأقل حتى يكون تشبيهك صحيح.. قولي كديك فخور، لا كدجاجة حاضنة.

ـ لا أستطيع تخيلك أبداً وأنت فخور بي.

ـ ولكنني فخور بك. أنت أجمل امرأة في الغرفة، وبما ان أجمل نساء روما موجودات هنا لمنافستك...

ـ كم أنت قادر على الإطراء يا روبرتو. أأنت أكيد أنك لم تشرب شيئاً؟

ـ كأس واحد فقط. وهذا يذكرني أنني بحاجة إلى آخر، هل آتيك بواحد؟

ـ لا.. شكراً أنا لا أشرب.

ـ هكذا لاحظت.. وماذا كنت تفعلين بصناديق الشراب التي كان يبعثها لك أخي؟ أكنت تهدينها أم تبيعينها؟

ـ لقد بعتها وعشت على ثمنها!

واستدارت عنه، وتناولت قطعة حلوى ووضعتها في فمها، أي شيء ليمنعها من متابعة الحديث، كم هي غبية لتنسى أن أختها كانت مولعة بالشراب! ثم استدارت لتواجهه ثانية.

ـ عندما قلت إنني لا أشرب، كنت أتحدث عن المشروبات

الروحية. لا عن الشراب العادي.

ـ الهذا السبب لا تشربين شيئاً عند العشاء؟

ومرة اخرى عضّت على شفتها لأنها قالت شيئاً خاطئاً. هذا الرجل له ذاكرة فيل! يبدو أنه يعرف عن ماري أكثر مما تعرفه هي عنها.

ـ يبدو أن جوليانو تكلم كثيراً عني.

ـ لقد فعل. كان يحاول دائماً إقناعي بأنك فتاة رائعة.

ـ وها قد عرفت هذا بنفسك!

ومال عليها أكثر، وحجب كتفاه العريضان الناس من خلفه.

ـ بعض الأحيان أشعر أنني لا أعرفك أبداً. فلديك أمزجة كثيرة وأذواق متغيرة.

ـ أتعني أنني أشرب أحياناً وأدّعي أنني لا أشرب؟

ـ وأشياء أخرى ايضاً.

واتسعت عيناها وجعلها خوفها منه تشعر بأنه أطول وأضخم. كان هناك تعبير غريب على وجهه، وانتظرت باضطراب ما سيقوله.. ولكنه عندما تكلم، ما قاله كان مفاجئاً لها:

ـ من أنت في الحقيقة يا لورا؟ هل أنت «الموديل» التي وقعت في حب سائق سيارات سباق غني شاب أم أنت ذات الروح المتقدة، المرأة الذكية التي تحاول أن تؤسس لنفسها مستقبلاً عملياً كمصورة؟

ـ ولماذا يجب أن أكون هذه او تلك؟ لماذا لا أكون الاثنين معاً؟

ـ لأن الاثنان لا يتفقان. واحدة منهما تمثيلية، ولا زلت غير واثق أيهما. سيكون من الأفضل أن تغادري روما. اتركي الطفل ينمو كابن ابيه.

ـ إن له أم كذلك. كيف تستطيع أن تكون بهذه القساوة يا روبرتو؟

ـ أنا أحاول أن أكون لطيفاً.

ـ وهل من اللطف أن ترغب في دفعي خارج حياة جوليو؟

وامتلأت عيناها بالدموع، وخشيت أن ترمشهما حتى لا تنسكب الدموع الى الخارج، وأبقتهما مفتوحتان على وسعهما. وتمتم:

ـ يا إلهي!

ووضع يده على ذراعها، وبقي صوته خفيضاً، ولكن القساوة غابت عنه، ولكنها كانت أبعد من أن تهتم لما يشعر به. كل ما كانت تهتم به الحفاظ على كرامتها واستمرار الكذبة التي تعيش فيها. فقالت بصوت مرتجف:

ـ يوماً ما ستعلم أن المال والاسم الارستقراطي ليسا كل شيء.

وتركته وتحركت بعيداً، وبينما هي تفعل استدار رجل من ضمن مجموعة من الناس كانوا يتحدثون ونظر إليها مباشرة وصاح بتعجب: «لورا!» وتقدم نحوها. وأرادت أن تهرب، ولكن أطرافها أصبحت مشلولة، ورفضت إطاعتها، ووصل الرجل إلى جانبها.

ـ ماذا تفعلين في روما؟ هل أنت هنا في مهمة؟

وكومضة من الضوء، تذكرت كل شيء عنه.

بيدرو باللي كان قد تعرّف إلى شقيقتها عندما أتت إلى روما لتعرض أزياء رياضية شهيرة ومكلّفة من تصميمه. وأسره فوراً جمالها الأشقر، وبعد عودتها إلى انكلترا، أمطرها بالمكالمات الهاتفية، والزهور والزيارات المتكررة. ولم تكن ماري قد قالت ماذا حدث بينهما، ولكراهية لورا لعبث شقيقتها لم ترغب في معرفة حقيقة علاقتهما. كل ما عرفته أنها كانت علاقة دافئة استمرت فترة طويلة. وها هو بيدرو الآن يقف أمامها، يمسك بيدها وهو يعلم تماماً أن ماري قد ماتت. لقد كانت مجنونة لأنها لم تدرك بأنها قد تقابله في روما، ولكن لو أنها فكرت بالأمر، فهل كانت ستثق به لتعلمه بالكذبة التي تعيش فيها؟ إن هذا السؤال سؤال نظري، لأنها الآن لا خيار أمامها سوى أن تقول له. ولكن ليس هنا، وخاصة أن روبرتو أتى ليقف إلى جانبها.

ـ ألن تقدميني لصديقك يا لورا؟

ـ لقد ظننت أنك تعرف السنيور باللي. فملابسه مشهورة.

ـ وكذلك السنيور مشهور أيضاً.

ـ وأنت ايضاً معروف يا كونت ماسيني. لقد كدت أعيد إليك آخر سيارة ماسيني للسباق اشتريتها. لقد بقيت في الكاراج أكثر من بقائها على الطريق.

ـ كان عليك أن تعيدها بالفعل. إذ مهما كانت مستوياتنا ممتازة فلا بد أن تظهر سيارة عاطلة في وقت ما من بين صفوف سياراتنا الممتازة.. لو واجهت مشكلة مرة ثانية...

ـ لقد استبدلت السيارة بأخرى من نوع «لوتس».

وأعاد بيدرو انتباهه الى لورا:

ـ أين تقيمين يا عزيزتي؟ لا بد أن نجتمع معاً ونتبادل الأنباء. كنت سأتصل بك عندما كنت في لندن، ولكن ذكرى...

وسارعت لورا إلى مقاطعته «لا أتوقع منك الاتصال بي كلما أتيت إلى لندن».

فسألهما روبرتو:

ـ أتعرفان بعضكما جيداً؟

فقال بيدرو «بالطبع» وقالت لورا «ليس كثيراً» وتكلم روبرتو بعد صمت قصير مشحون:

ـ إنه اختلاف في الرأي مثير للاهتمام!

ـ ما أنا.. ما أعنيه أنني لم أرَ بيدرو منذ فترة طويلة.. هل لك ان تملأ كأسي شراباً يا روبرتو؟

ودفعت كأسها الفارغ في وجهه، متسائلة في نفس الوقت ما إذا كان أحد قد لاحظ أنها مدت قدمها لتركل بيدرو على ساقه. وأخذ روبرتو الكأس ونظر اليها بسخرية وتحرك بضع خطوات، إلى حيث

كان الساقي يقف وهو يحمل صينية مليئة بالكؤوس. وعندها استدارت الى بيدرو قائلة «روبرتو يعتقد أنني ماري.. بحق السماء لا تقل له الحقيقة» فقال بدهشة «ولكن...» فقاطعته «أنا اعيش في قصره مع الطفل. إذا عرف أن ماري ماتت سيأخذ الطفل مني».

ـ أنت لست..

ـ لن أستطيع الشرح لك الآن. ولكنه يظن أنني أرملة جوليانو.

وقال بيدرو من بين انفاسه «يجب أن نتكلم فيما بعد» وبينما كان روبرتو يتقدم نحوهما قال بصوت مرتفع وكأنه يكمل حديثه «إذا كنت غير مشغولة غداً، نستطيع تناول العشاء معاً» فابتسمت «سأحب هذا كثيراً» واخذت الكأس من روبرتو. واهتز الكأس في يدها ووضعت حافته على شفتيها لتثبيته «إلى اللقاء غداً يا بيدرو سأكون جاهزة عند الثامنة» وتحركت مبتعدة، دون اكتراث إلى أين تذهب طالما تستطيع أن تكون لوحدها. ولكن هذا مستحيل، فقد تبعها روبرتو، وقال:

ـ أنت تعرفينه جيداً؟

ـ لا.. لقد قلت لك.

ـ إذاً لماذا أزعجتك رؤيته؟

ـ ما الذي يجعلك تظن هذا؟

ـ وهل تظنيني غبياً؟ لقد أصبحت شاحبة كالشبح عندما رأيتيه وأخذت ترتجفين وكأن حمى أصابتك.

ومد يده بعنف وأخذ الكأس من يدها، وقبض على ذراعها، وقادها بفظاظة الى الشرفة التي تطل على منظر جميل للفاتيكان.

ـ أظن أن السنيور باللي هو واحد من الرجال في ماضيك. عليّ الاعتقاد أنك ستتوقعين ظهورهم واحداً واحداً من الآن وصاعداً.

ـ إذا كنت أتيت بي هنا لإهانتي...

ـ لقد أتيت بك إلى هنا لتستعيدي سيطرتك على نفسك.. أنت

شاحبة جداً حتى أن الناس بدأوا يلاحظون ذلك.

ـ أنا آسفة يا روبرتو.

ـ هل لا زلت تحبينه؟

ـ أنا أحب بيدرو؟

ـ هذا هو سؤالي.. رؤيته عنت لك شيئاً.. لذا فالاستنتاج منطقي.

ـ بيدرو لا يعني لي شيئاً.

ـ ولكن في يوم ما كان كذلك... أليس هذا صحيحاً؟

لم تكن واثقة فيما لو كان يظن ام أنه يعرف عن هذه الواقعة في حياة ماري، فهو يبدو عارفاً بالكثير عن شقيقتها، فقالت:

ـ كان... كان هذا منذ زمن بعيد. ولا أريد التحدث بالأمر.

ـ ولكنني أريد. أنت تعيشين في القصر وتحملين اسم عائلتي.

فصرخت به «أنا لا أريده! لو لم يكن من أجل جوليو لما كنت... اوه يا روبرتو، أرجوك دعني أذهب».

ـ أنت حرة في الذهاب متى شئت ولكن حسب شروطي.

واستدارت بصمت وعادت الى الصالون. اتهام واحد بعد من روبرتو وستضربه! ورأت أمامها بيدرو، وكادت أن تركض إليه. كان يتحدث إلى رجلين آخرين، أحدهما قطب صناعة نسيج والآخر صناعي كبير مثل روبرتو.

ولم تدر كيف أمضت بقية سهرتها. كانت وكأنها مقسومة إلى نصفين، أحدهما يطوف فوق رأسها يراقب الآخر يضحك ويمزح ويشرب ويأكل. ولم يحاول روبرتو أن ينضم إليها. كان مع اوليڤيا وقد التصق الرأسان وهما جالسان على الأريكة، وقد بديا حميمين في جلستهما على الرغم من وجود الناس حولهما.

عند منتصف الليل، بدت السهرة وكأنها ستطول عدة ساعات أخرى. وكانت لورا قد وصلت الى منتهى قدرتها على التحمل.

ولاحظ بيدرو هذا فاسرع ليعرض عليها أن يوصلها فقالت:

ـ إنها مسافة بعيدة.

ـ قصر ماسيني علامة مميزة في المدينة. اخبريني ما نوع معطفك لأجلبه لك.

ـ إنه من لون الفستان.

ونظر إليها نظرة خبيثة:

ـ يجب عليك ارتداء احد تصميماتي يا لورا. ولا تقولي إنك لا تتحملين ثمنها، لأن ما تلبسينه مكلف أكثر.

وانتظرت في الردهة إلى أن أحضر لها معطفها، وكان يضعه على كتفيها عندما أتى روبرتو وقال:

ـ هل تودين الذهاب يا لورا؟

ـ أجل.. بيدرو سيوصلني.

ـ لا حاجة لهذا.. سأوصلك بنفسي.

ـ لا أريد أن أزعجك.

وتجاهلها وعانق اوليڤيا مودعاً ثم وقف قرب بيدرو.

ـ لطف منك أن تعرض إيصال زوجة أخي إلى المنزل، ولكن هذا ليس ضرورياً.

وهز بيدرو كتفيه، ثم أمسك يد لورا ورفعها الى فمه وقبّلها. وهمس بصوت تعمّد أن يكون مثيراً «إلى اللقاء غداً» مما جعل لورا تتساءل عن اللعبة التي يحاول أن يلعبها، ولكن عيناه كانت لا توحيان بشيء وعلمت أنها لن تعرف حتى تراه غداً.

ونزلت صامتة مع روبرتو إلى السيارة. وفي خلال الطريق تكلم:

ـ لا أريد أن أمنعك من مقابلة السنيور باللي. ولكنني أعتبر أن رؤيتك له غير حكيمة.

ـ ولماذا؟ ألأنه يعمل لكسب معيشته؟

ـ وأنا أعمل كذلك. أقول هذا بسبب سمعته. إنها ليست سمعة جيدة.

ـ لست على علاقة من هذا النوع معه.

ـ ولكنك كنت في يوم ما. أليس كذلك؟

ـ منذ زمن طويل قبل جوليانو.

ـ وأخي الآن ميت.

ـ وهذا يعني أنك لا تملك الحق لتقول لي ماذا أفعل؟

ـ ما عدا تذكيرك بأن تتصرفي كأم.

ـ الأم عادة لها زوج.

ـ وهل تلوميني على حياتك كأرملة؟

ـ انا لا زلت شابة، ولديّ الحق بأن أكون سعيدة مثلك تماماً.

ـ مع الرجل المناسب، أجل. ولكن ليس مع رجل مثل سنيور باللي.

ـ ليست لديّ النية أن أتزوجه، سأقابله كصديق قديم فقط.

ـ وهل يصبح كل عشاقك أصدقاء؟

ـ إنهم يبدأون كأصدقاء يا روبرتو. والآن هل تمانع في أن تغير الموضوع، أرجوك!

واصبحت الأعمدة الحجرية والأبواب الحديدية المغلقة أمامهما، وخفّت سرعة السيارة، وضغط روبرتو على زر في لوحة مفاتيح السيارة، ففتحت الأبواب ببطء، ودخل عبر الأبواب وأعاد ضغط الزر فعادت الأبواب لتقفل.

وحاولت فك حزام الامان، لتخرج من السيارة بسرعة، ولكنها لم تكن معتادة على القفل فقالت بحرارة «القفل لا يعمل».

ومال روبرتو، وضغط عليه، فارتخى الحزام عن كتفيها. وعندما تحرك الحزام عن كتفيها حلّت يداه مكانه وأدارها نحوه لتواجهه.

ـ أنا آسف يا لورا. . لم يكن عليّ أن أكلمك بالطريقة التي كلمتك بها.

ـ أنا معتادة على هذا منك.

ودفعت يده عنها وقفزت حارجة من السيارة. وانتظرته عند الباب ليفتح لها. وتصاعد غضبها أكثر، من المفترض أن يكون هذا منزلها، ومع ذلك لا تستطيع الخروج أو الدخول اليه بمفردها.

ـ أريد مفتاحاً.

ـ ستحصلين على واحد غداً.

وفتح لها الباب فدخلت وقالت من فوق كتفها «عمت مساء» وسارت نحو الدرج، فقال لها «لورا» وتوقفت وانتظرت الى أن تقدم إلى جانبها، ولكنه لم يتكلم فنظرت إليه بقلق.

ـ ماذا تريد يا روبرتو؟

ـ لا شيء. . . أنا. . .

وكأنه لم يستطع منع نفسه، فجذبها بين ذراعيه وبدأ يضغط عليها معانقاً. وقال هامساً.

ـ أنت جميلة جداً. . لا عجب أن يريدك كل رجل كما أفعل أنا.

وزاد ضغطه عليها وكأنه يعبر عن حبه لها.

ـ انت تعذبيني كساحرة خبيثة. في لحظة أرغب في خنقك، وفي اللحظة التالية. .

وتخللت أصابعه شعرها وأطلقه لينسدل على كتفيها وكأنه المخمل الحريري. ودفن وجهه فيه وهو يقول:

ـ أنا أريدك. . أريدك بجنون.

وهي تريده ايضاً، ولكن ماذا بعد، لن تصبح بعدها المرأة التي يريدها، بل فتاة قضى معها وقتاً، فتاة أوقعت بأخيه وأتت إلى منزله فقط بسبب الطفل. . . لماذا لا يستطيع أن يحبها لما هي عليه فقط؟

لقد كانا يريان بعضهما كل يوم منذ ستة اسابيع حتى الآن، أليس لديه الحس الكافي ليفهمها؟ وبدأت تقاوم وهي بين ذراعيه، مدركة للخطر لو بقيت بينهما.

ـ اتركني يا روبرتو. . لا فائدة مما تفعل!

ظنت أنه ستجاهل رجاءها، ولكن عندما كررت الطلب، تراخت يداه من حولها ونزلتا إلى جانبيه، وبدا وجهه قاتماً وشيطانياً. وقال بغضب:

ـ لماذا ترفضيني؟ فكري بالفخر الذي ستحصلين عليه بجمعك ولديّ عائلة ماسيني!

وجذبت نفسها منه مع صرخة ألم، وعندما سمعها رفع حاجبيه وسألها ساخراً.

ـ ألن تضربيني؟

ـ لا يا روبرتو. . وسأترك التفسير لك. . .

واستدارت لتصعد الدرج.

☆ ☆ ☆

١٢ لا أتحمّل حبك!

علمت لورا في اليوم التالي أن روبرتو سافر إلى تورين، وأنه سيغيب بضعة أيام. ومع ان الجزء منها الذي يحبه كان مشتاقاً لرؤيته، فإن الجزء الذي يخاف منه كان سعيداً لخلاصه من عينيه المراقبتين.

بعد الظهر قادت السيره إلى روما لتلتقط صور الأطفال الأميركيين الثلاثة. كانت تتوقع أن تكون المهمة متعبة ولكنها دهشت لأنها وجدت سهولة كبيرة مع الاطفال، واستطاعت أن تتحدث اليهم على مستواهم. كان الاطفال الثلاثة صاخبون غاضبون وهم يتوقعون أن يجلسوا ثابتين في أماكنهم لساعات، ولكنهم شعروا بالغبطة مع هذه الفتاة الصديقة الحمراء الشعر، وهي تركض معهم حول الغرفة، تلتقط صورهم وهم يلعبون.

عادت إلى القصر بعد السادسة مساء، ولكنها وعدت أمهم أن تحضر لها الصور التجريبية في الغد، فبدأت العمل لتظهير الأفلام، ولأنها مجرد صور تجريبية طبعتها بالأبيض والاسود وفي وقت قصير أصبحت جاهزة.

الصور رائعة، وستبتهج أمهم كثيراً بها وربما أرتها للناس الآخرين

في السفارة، وعندها ستحصل على أعمال أخرى. وخرجت من غرفة التظهير وهي تفكر بالطريقة التي ستقوم بها بالدعاية لنفسها دون ان يشعر روبرتو، لأنه بالتأكيد سيعارض. وغيّرت ملابسها لتخرج لتناول العشاء مع بيدرو، مع شعور بالراحة لأن روبرتو يبعد أميالاً عنها.

ولم يسألها بيدرو شيئاً إلى أن أصبحا في الشارع جالسين في سيارته اللوتس الفخمة متجهين نحو المدينة، فأخبرته كل الوقائع التي أوصلتها الى هنا. وكشفت له فقط ما يكفي لأن يعرف أن وضعها صعب وأن روبرتو يعرف تماماً ماضي ماري، ولهذا السبب يعاملها بريبة كبيرة.

ـ إنه حكم سيء على الشخصيات إذ لم يستطع تمييز الفرق بينكما.

ـ إنه لم يلتقِ أبداً بماري.

ـ إنه يعرف كل شيء عنها من شقيقه. وأنت لست من الطراز الذي يقوم بما كانت تفعله. أنت شخصية مختلفة عنها تماماً.

ـ لا تبالغ.

ـ إنها ليست مبالغة.. أنت غاضبة ومتوترة، وليلة أمس بدا عليك هذا.

ـ ليلة امس كانت استثناء. لقد صدمت عندما رأيتك. ظننت أنك ستفضح أمري.

ـ ما زلت أستطيع هذا.

ـ ولماذا قد تريد أن تفعل هذا؟

ـ لم أقصد أنني أريد... ولكن فقط أستطيع...

ـ أنت تهددني.. وليس السبب أنك بحاجة إلى المال.

وانفجر بالضحك وانحرفت السيارة قليلاً، فأعادها الى طريقها.

ـ بالتأكيد أنا لست بحاجة إلى مال، أنت محقة. ولكن أشياء أخرى

أهم عندي من المال. امرأة جميلة مثلاً. وكنت دائماً تتمنعين عليّ.

- أنا لست من النوع الذي تفضله يا بيدرو. فأنت كنت تحب شقيقتي.

- في ذلك الوقت.. أجل. ولكن هذا من الماضي. وها قد دخلت في حياتي وأشعر وكأن ماري عادت لي.

- لا تشعر هكذا أبداً!

- ولكنها الحقيقة. أنت جميلة كأختك تماماً، إضافة إلى أنك أفضل منها بالذكاء. ماري كانت جميلة، ولكنها لم تكن متحدثة جيدة.

- ولا أنت كذلك، حسبما أتذكره عنك!

وضحك ثانية:

- حتى إهاناتك مسلية. لم أكن أتحدث معها لأن ذلك مضيعة للوقت. ولكن أنت...

وأزاح يده عن المقود وامسك بيدها.

- لا ترفضيني بهذه السهولة. على الأقل اعطي نفسك فرصة لتعرفيني.

وحاولت أن تقول له إنها لا تحتاج لوقت لتعرف أنه لن يعني لها شيئاً، ولكن الحذر أسكتها. لقد قال إنه لن يفضح امرها، ولكنها ليست متأكدة من أنه صادق.

وأجبرت نفسها على الابتسام، فالأمسية أمامها ستكون رهيبة، ولكنها مضطرة لان تتحملها بثبات قدر المستطاع. ولم يعد بها بيدرو إلى القصر قبل ساعات الفجر الأولى. وبعد نوم قصير كانت ما زالت تعبة أثناء درس الإيطالية مع البروفسور نيرو.

بعد الغداء مباشرة، ذهبت لتعرض الصور على السيدة وليامز.

وأقامت لها السيدة حفلة شاي صغيرة، ووجدت لورا نفسها محاطة بمجموعة من الزوجات الأميركيات الشابات، وكلهن يتسابقن ليحصلن على موافقتها لتصويرهن. وعندما غادرت كانت قد حصلت على دزينة من المواعيد، مع التأكيد أن العديد سيتبع عندما يعلم الجميع في السفارة الاميركية بموهبتها. وخلال بعد ظهر الأيام التالية من الاسبوع، ذهبت لورا إلى منزل مختلف كل مرة. وكانت حذرة حتى لا يشاهدها أحد وهي تغادر القصر مع معدات التصوير. ولهذا تركت معظم المعدات في صندوق السيارة. وحملت الكاميرا والعدسات في حقيبة أنيقة كانت الكونتيسة قد أهدتها لها.

وراودت لورا فكرة أن تخبر الكونتيسة عما تقوم به، لأنها علمت أن غيابها المتكرر عن القصر قد لوحظ، ولكن لو فعلت هذا، فستضطر أن تطلب منها عدم ذكر هذا لروبرتو، ومع أنها تعرف أن المرأة تحبها، إلا أنها لم تكن واثقة من أنها ستوافق معها على إخفاء الأمر عن ابنها.

حتى أنها لم تكن قادرة على تمضية الأمسيات مع الكونتيسة، لأن بيدرو كان يلاحقها دائماً بطلب السهر معه. وأوضح أنه إنما يخرج معها لأنها هي نفسها وليست لأنها تشابه شقيقتها.

في إحدى الامسيات وهما جالسان في مطعم فخم يتبادلان الحديث، مد يده عبر الطاولة وامسك بيدها، وفي تلك اللحظة بالذات، ولسوء حظها دخل روبرتو ومعه اوليڤيا إلى المطعم.

ورآهما روبرتو على الفور، وتعالى اللون الأحمر إلى وجه لورا.. لماذا اختار هذا المطعم بالذات، ولماذا هو هنا في وقت كانت تعتقد أنه في تورين؟ وجذبت يدها من يد بيدرو وحاولت التظاهر بعدم الاكتراث عندما توقف روبرتو وأوليڤيا أمام طاولتهما. وقالت مبتسمة «لم أكن أعرف أنك عائد الى روما الليلة، لقد قالت والدتك إنك لن تعود قبل الغد».

ـ لقد اتصلت بها بعد الظهر لأخبرها بتغيير الموعد. أعتقد أنك كنتِ في الخارج.

وتوقف عن الكلام وكأنما ينتظر منها تفسيراً، ولكنها ابتسمت لأوليڤيا التي ردت عليها بابتسامة حارة على غير عادة. وعلمت لورا أنها سرّت لرؤيتها مع بيدرو، فهذا سيجعلها أقل خطراً عليها، وقالت اوليڤيا:

ـ لم أكن أعلم أن بيدرو صديق مقرب لك لهذه الدرجة.

فردت عليها لورا ببرود «إنه صديق عزيز جداً».

ـ إذاً الصحفية أولغا دول على حق.. لقد كتبت عنكما في صفحة الإشاعات هذا الصباح.. ألم تقرأيها؟

ـ أنا لا أقرأ عن الفضائح.. أترك لأصدقائي أن يخبروني عنها!

ـ لن نزعجكم أكثر.. تعال يا روبرتو.

وقال بيدرو عندما ذهبا «أنا لا أريد أن يفهم الكونت الأمر خطأ. إنه لم يحب رؤيتك معي».

ـ كنت سأقول نفس الشيء بالنسبة لك ولاوليڤيا!

ـ وهل تخافين من هذه؟ إنها كعظمة «الفروج»، مجرد فرقعة أصبع و... تنكسر فوراً. لا يا عزيزتي إنه الكونت الخطر. إنه لا يحب أن يراك مع رجل، وهذا يعني...

فقاطعته بسرعة قائلة:

ـ هذا لأنه يعتقد أنني أرملة جوليانو، فلم يمضِ على وفاته سنة على كل الأحوال، ولو كنت حقاً ماري لكنت ما زلت في حداد عليه.

ـ لو كنت حقاً ماري لكنت وقعت في حب شخص آخر. لا تتخيليها غير ما كانت، أحبيها على ما كانت عليه، لجمالها، لمرحها، لدفئها. لو كانت حية اليوم لكانت تتمتع بكل لحظة من حياتها. وبثروة عائلة ماسيني لكانت الآن تسبح بالمال!

ـ ولكنني لست ماري، وليست لديّ النية أن أعيش ذلك النوع من الحياة التي عاشتها. إذا كان هذا ما تفكر به يا بيدرو إنسى الأمر!

ـ أنت تعلمين أن هذا غير صحيح، لقد قلت لك إنني أحبك لأنك مختلفة.

ـ انت لا تحبني!

ـ بل أحبك، فيك كل شيء قد أحبه في امرأة.

ـ وكم مرة قلت هذا الكلام؟

ـ أكثر مما أتذكر، ولكن هذه المرة الأولى التي أعني فيها ما أقول.

وكان مستحيلاً عليها أن لا تضحك.

ـ على الأقل أنت صادق، وأظن أن هذا جزء من سحرك.

ـ أنت تبدين قاسية في وقت أنا جاد فيه.

ـ إذاً دعني أكون جادة أيضاً، أنا لا أحبك، ولن أحبك أبداً. ومن الأفضل لك أن لا تستمر في رؤيتي.

وهز رأسه. وكان هناك عناد بارز في ملامح وجهه، مما حذرها أن لا تجادله، ولأنها تعلم أنه لا يزال لديه تلك الورقة فلن تجرؤ على إغضابه، لذا بقيت صامتة، ولكن عندما اوصلها تلك الليلة إلى القصر، لم يصر على أن يراها في اليوم التالي، ورضي بأن يخرج معها السبت المقبل.

كانت لا تزال تفكر به، وما بإمكانه أن يفعل بها لو قرر أن يفضح أمرها وهي تسير عبر الممر إلى غرفتها. ووضعت يدها على الباب ثم توقفت، وشعرت بحاجتها إلى الطمأنينة، فانسلّت إلى جناح الطفل. روزا كانت نائمة في الغرفة المجاورة لغرفة نومه، وكان هناك ضوء خفيف ينير المكان فسارت على رؤوس أصابعها إلى سريره وركعت أمامه، كانت ذراعه خارج الغطاء وراحته مفتوحة، فأحنت رأسها إلى أن وصلت شفتاها إلى يده تقبلها، وهمست.

ـ آه يا حبيبي... أنا أحبك.

عندها شعرت أنها ليست لوحدها وأدارت عينيها جانباً دون أن تدير رأسها، فشاهدت ساقاً تعلوها رجل بنطلون ضيق. وحاولت النهوض، إلا أن يد روبرتو على كتفها جعلتها تبقى مكانها. ثم ركع بقربها ووضع يده بحنان على رأس ابن أخيه، وبعد لحظات وقف وخرج إلى الغرفة الخارجية، ولحقت به لورا.

- أرغب في التحدث إليك يا لورا.

- ألا تستطيع الانتظار حتى الصباح؟ أنا تعبة وأريد أن أذهب إلى الفراش.

وتركته وخرجت، ولكن ما أن وصلت إلى غرفتها حتى كان وراءها ودخل معها الغرفة واغلق الباب.

- نستطيع أن نتكلم الآن.

- إذا كان الكلام حول بيدرو...

- إذاً أنت تعرفين.. أليس كذلك؟

- لقد جعلت الأمر واضحاً في المطعم.

- لقد قلت لك الأسبوع الماضي إنني لا أرغب في أن تقابليه.

- إنه صديق لي، وسأقابله قدر ما أشاء.

- أليس لديك احترام لذكرى جوليانو؟ ألا تهتمين بتسبيبك الألم لأمي.

- لأنني أقابل صديقاً؟

- لأنك تخرجين مع عشيق سابق لك!

- وهل حصلت على معلوماتك من اوليفيا؟ لا بد أنك تنظر إليّ كتهديد لها طالما هي تحاول تدميري هكذا.

- اوليفيا تعرف كم أنا أهتم باسم عائلتي. أما أنت كشخص فلست مهمة لديها.

ودفعتها المرارة لمحاولة إيذاءه بقدر ما يؤذيها.

- او.. بلى.. أنا أهمها فهي تخشى أن تلحق بخطوات جوليانو!

- وهذا ما ستحبينه، أليس كذلك. ولكنني لن أستطيع بعد الآن أن أحبك، أكثر مما استطيع...

- تستطيع ماذا؟ كن صادقاً يا روبرتو، لقد عانقتني تلك الليلة لأنك لم تستطع منع نفسك. وأنت ترغب في هذا الآن أيضاً! ارى هذا في الطريقة التي تنظر بها إليّ.

وتقدمت منه، والتصقت به، ورفعت وجهها في وجهه متحدية:

- هيا... عانقني.. هيا روبرتو... افعل!

- واتبع خطى جوليانو! لا، أفضل أن أصبح راهباً!

- منذ فترة قلت إنك لن تفكر بعد في الماضي. وأنا ايضاً أحب نسيان الماضي، لو أنك تتركني أفعل. ولكنك لن تتركني.

- إننا من صنع الماضي، حاولت نسيان هذا، ولكنني لم أقدر. الناس لا يتغيرون، إنهم يتعلمون الادّعاء أكثر فقط.

- لو أنك قابلتني دون أن تعرف من أنا... فكيف كنت ستفكر بي لو كنت أنا الأخت التوأم لنفسي.

- نفس الشيء.. نفس الشيء.. فستكونين مصنوعة من نفس الطينة المصنوعة منها أختك وفولتان في نفس الوعاء لهما نفس الطعم.

وملأت الدموع عينيها، ورآها، ولكنه أساء التفسير.

- كم أنت جميلة عندما تبكين. هل تستخدمين الدموع دائماً لتحصلي على ما تريدين...

وتقدم منها ومد يده نحوها وهمس.

- وهل هذا ما تريدينه يا لورا القاسية القلب، المغرمة بحريتك. فصرخت به «لا» فقال «بلى» ووضع يديه على خصرها وجذبها نحوه، نفس ما تصرّف به في تلك الليلة، عناق فيه عاطفة وفيه غضب ولم يكن فيه أي حس أو حنان. وعلمت لورا أنها لا تستطيع أن تستسلم

تماماً له مهما كانت الظروف. وفجأة تمتم «يا إلهي!» وابتعد عنها، وتركها هذا الابتعاد المفاجىء مترنحة، فوقعت على حافة الكرسي، ولكنها تحاشت أن تقع وأجلست نفسها، ويداها ترتجفان بقوة.. وقال لها من خلفها:

ـ أرايت بأي سهولة أستطيع أن أحصل عليك، ولكنني لا أريدك.

ـ أنت تتلاعب بالألفاظ يا روبرتو، أليس كذلك؟

ـ أتلاعب بها بنفس السهولة التي تتلاعبين بها مع الرجال.

ـ إذاً فكلانا من الأذكياء.

ـ إذكياء بما يكفي كي نبقى بعيداً عن طريق بعضنا البعض.

ـ لم أبحث أنا عنك، أنت من سعيت وراءي.

ـ سعيت وراءك لأنني مصمم أن أجبرك على التصرف اللائق طالما أنت تعيشين هنا. وإذا غادرت روما، فلك أن تفعلي ما شئت في حياتك، ولكن ما دمت تحت سقف بيتي ستتصرفين كأرملة أخي!

ـ وإذا لم أفعل؟

ـ سوف آخذ جوليو منك، وأجعل المحكمة تعلن أنك أم غير لائقة.

ـ لن تجروء على هذا!

ـ جربيني.

ـ أنا أكرهك!

صوتها كان قريباً من الهمس، ولكن بما يكفي كي يسمعه، فرفع رأسه:

ـ كراهيتك شيء لا يهمني يا لورا. حبك هو ما لا أستطيع تحمله!

وصفق الباب وراءه، وتنهدت بقوة، ودفنت رأسها بين يديها. ولكنها لم تشعر بالراحة للدموع التي ذرفتها، وحدها معرفتها المريرة بأنها ما دامت في القصر، تحت نظر وسمع روبرتو، لن تستطيع أبداً أن تنساه.

١٣ ـ رحيل بدون دموع

وكان روبرتو صادقاً بكلمته، فقد ابتعد عن طريقها. وخلال اسبوعين لم يلتقيا سوى عند العشاء. وهذا ايضاً لم يكن باستمرار. لانه ادّعى الانشغال عدة مرات، ولم يتعشى في المنزل. وعلقت الكونتيسة على غيابه، إذ يبدو أنه ختى عندما يكون لديه عشاء عمل، كان يدعو ضيوفه إلى منزله. وقالت للورا بعد ظهر أحد الأيام وهما تغادران غرفة الطعام:

ـ لم يكن يتغيب هكذا أبداً من قبل. ولم يكن حتى بهذه الطباع السيئة.

ـ الرجال من ذوي الطاقة والذكاء عادة متقلبوا الطباع.

ـ هناك فرق بين حدة الطباع وسوء الطباع. روبرتو لا يتحمل الأغبياء ابداً، ولكنه يتحملني، والآن حتى أنا. هذا مستحيل.

ودخلنا غرفة الجلوس واتخذت الكونتيسة مجلسها المفضل. كانت تعمل في التطريز، وكانت الإبرة تلمع وهي تدخل القماش وتخرج منه ثم تابعت حديثها:

www.rewity.com

ـ لقد تغيرت أنتِ ايضاً في الأسابيع الأخيرة، أنت نحيلة ويبدو عليك التعب. ولا تقضين الكثير من الوقت في المنزل.

ـ ربما لأنه ليس منزلي.

ـ لقد تأملت أن تتوصلي لاعتبار القصر منزلك.

ـ لن أستطيع هذا. فأنا غريبة هنا، وأنا باقية فقط بسبب...

ـ بسبب خوفك أن يأخذ روبرتو منك جوليو إذا لم تفعلي!...

هذه أول إشارة تصدر عن الكونتيسة بأنها تعرف تهديدات ابنها لها. وأحبت لورا أن تعرف ما إذا كانت المرأة مشاركة بالأمر منذ البداية. معرفتها بهذا قد يكون سبباً لتصرفها القاسي ولتغيير العطف الذي شعرت به نحوها.

ـ أعتقد أنك موافقة معه؟

ـ لقد وافقت معه إلى أن عرفتك.. ولكنني لن أوافق على هذا العمل بعد الآن.

ـ ولكن روبرتو موافق.

ـ أخشى هذا. منذ أن أتيتِ لتسكني معنا، تصرفاته معك أصبحت قاسية، ولم تتغير، ولست أدري السبب.

ها هنا فرصة ذهبية أمام لورا لتقول لها بعضاً من الحقيقة!

ـ إنه يعارض خروجي مع بيدرو باللي. يشعر أن عليّ البقاء في حداد. ولكنني لا أستطيع أن أستمر في الحزن لما تبقى من حياتي.

ـ من غير الطبيعي أن تفعلي هذا. روبرتو لا يستطيع إدراك أن الحياة تستمر. الإنسان لا ينسى الأموات، ولكنه لا يستطيع أن يعيش لهم. والدين لا يطلب بأن ترمي الأرملة نفسها في قبر زوجها. أمامك حياتك يا لورا. وأرجو يوماً ما أن تتزوجي وتنجبي المزيد من الأولاد الرائعين. رغم أسفي أنهم لن يكونوا أولاد جولياتو.

وتهدج صوتها بالانفعال، واقتربت لورا من الكونتيسة وركعت أمامها، ووضعت يدها الدافئة فوق اليد المسنة المرتجفة.

ـ ما كان يجب أن أقول ما قلته، جوليانو ولدك وستحزنين عليه إلى الأبد، ولكنني.. أوه يا كونتيسة!..

وبعاصفة من البكاء وضعت لورا رأسها في حجر الامرأة.

منذ مدة طويلة لم تبكي أمام أحد. ولكن سيطرتها على نفسها خانتها وانفجر الحزن. وأخيراً توقف البكاء، ومع أنها بقيت مرتجفة وضعيفة إلا أنها لم تشعر بالخجل، لأن دموع الكونتيسة اختلطت بدموعها، والحزن الذي تشاركتا به جعلهما قريبتان من بعضهما بطريقة ستبقى معهما مهما ابتعدت بهما الطرق ومهما فرقتهما في المستقبل. وقالت الكونتيسة:

ـ إذا كنت ستكونين سعيدة أكثر بالعيش مع جوليو في منزل لوحدكما، فسأكلم روبرتو بالأمر.

ـ لن يوافق أبداً. وإذا تكلمت معه سيكرهني أكثر لأنني كدّرتك.

ـ لا أعتقد أن روبرتو يكرهك يا طفلتي. إنه يحارب نوعاً مختلفاً من المشاعر.

وأشاحت لورا بوجهها، فقد كانت تعرف أن الكونتيسة تعني الحب. كل الجرأة التي كانت لديها لإخباره حقيقة هويتها ماتت تلك الليلة منذ اسبوعين، عندما قال إنها حتى ولو كانت توأم ماري فإنه سيحتقرها أيضاً. خلفياته وتقاليده ستقوده للإيمان بأن ما وسم على العظام سيخرج إلى اللحم. قد يعتبر نفسه مختلفاً عن أخيه، ولكنه يؤمن أنهما من نفس الطينة والشعور.

لو كانت شقيقة عادية لماري لكان أمامها فرصة أن تجعل روبرتو ينظر إليها كشخص له حقوقه الخاصة، ولكن لأنها توأم لها فسوف يؤمن على الدوام أنها في داخلها تشابهها. فكرة العيش في القصر كل حياتها كان أكثر مما تتحمل التفكير به، وعلى الرغم من حبها العميق لابن اختها، فهي تعرف أنها في النهاية يجب أن تغادر، ولو عنى هذا أن تتركه هناك.

وذكّرتها دقات الساعة الكبيرة أن أمامها موعداً في الطرف الآخر من روما لتصوير طفلين توأمين للكولونيل في سلاح الجو الاميركي، الذي اتصلت بها زوجته عبر السيدة ويليامز، هذه المرأة الرائعة التي لولاها لوجدت لورا الأسابيع الأخيرة مستحيلة الاحتمال. ولم تكن تصدق أنها تستطيع تصوير هذا العدد من الأطفال في مثل هذه المدة القصيرة، وما بين الثانية والنصف والسادسة والنصف من كل بعد ظهر كانت مشغولة على الدوام. وقالت للكونتيسة:

ـ عليّ أن أذهب إلى روما يا كونتيسة.. سأراك عند العشاء. أعتقد أنك تتساءلين أين أسرع كل يوم بعد الظهر؟

ـ لقد فكرت بهذا... ولكنني لا أطلب منك أن تبوحي بسرك.

ـ اريدك أن تعرفي... فأنا مصورة أيضاً. وانا أعمل هكذا منذ مدة.

ـ لقد اخبرني روبرتو بهذا.

ـ إنه لا يعرف أنني ما زلت أعمل. لقد بدأت بالصدفة منذ شهر. لقد التقطت بعض الصور لجوليو ثم أرتها روزا لشقيقتها وهي مربية أطفال عند موظف في السفارة الأميركية. وطلبت مني الأم أن أصوّر أطفالها. ومنذ ذلك الوقت بدأت الأمور تسير على ما يرام. تستطيعين القول إنها أصبحت شغلي الشاغل!

ـ هل تعنين أنك تخرجين كل يوم لتصوير الأطفال؟

ـ ليس الأطفال فقط بل الأولاد.. انتظري سأريك ماذا أعني.

وأسرعت إلى غرفتها وأحضرت الكاميرا وكل النسخ من الصور التي كانت قد التقطتها وأحضرتها إلى الكونتيسة.

وبصمت نظرت إليها المرأة وهي تقلّب الصور أمامها. وتضحك أحياناً عندما تشاهد صورة التقطت دون استعداد.

ـ هذا رائع يا لورا.. لماذا لم تخبرينا من قبل ماذا كنت تعملين؟

ـ لأنني أعرف أن روبرتو لن يوافق.
ـ لن يوافق؟ ولكن يا طفلتي العزيزة، لماذا؟
ـ لأنه لا يريدني أن أعمل أو أن أخرج. إنه يريدني أن أبقى وحيدة كي أهرب وأترك الطفل ورائي.
ـ لا... لا... أنت مخطئة.
ـ لست مخطئة يا كونتيسة، أنت لا تعرفين ابنك بالطريقة التي أعرفه بها.
ـ أعرفه بشكل مختلف عنك، وأعتقد أنه من الأفضل أن نجمع النصفين المختلفين معاً.
ـ ليس الآن عليّ أن أسرع وإلا تأخرت.
وجمعت الصور ووضعتها في مغلف وأخفتها وراء احدى الستائر.
ـ أرجوك لا تقولي لروبرتو عنها.
وركضت نحو الباب.
ـ يوماً سيعرف.
وهزت لورا رأسها، ثم أسرعت نحو السيارة.
التوأم الذي ستقوم بتصويره كان من أصعب ما صورته، وما زاد الامر صعوبة أن والدتهما أرادت أن تجمعهما في صورة معاً. وفعلت ما طلب منها والتقطت صورتهما في حضن أمهما. إضافة إلى العديد من اللقطات السريعة المفاجئة التي أصبحت مشهورة بها.
ولأنها كانت مشغولة جداً، وصلت إلى المنزل قبل أن تدرك، وأوقفت السيارة في الكاراج، قرب السيارات الخمس الأخرى للأسرة، ودخلت عبر باب جانبي إلى المنزل. ونظرت إلى ساعتها، كانت قد تجاوزت السابعة، ولم تكن قد تأخرت هكذا من قبل. ووضعت قدمها على أول الدرج، فسمعت صوتاً يناديها، والتفتت لتجد روبرتو يقف عند باب المكتبة. وجهه كان بارداً على الرغم من سيطرته على طباعه.

ـ تعالي إلى هنا يا لورا، كنت أنتظرك لنتحدث.
وترددت، فكرر نداءها بصوت غاضب. فاستدارت، ولكن بدل أن تذهب نحو المكتبة توجهت إلى غرفة الجلوس. على الأقل في غرفة الجلوس سيكونان على أرض محايدة، هذا إذا كان أي جزء من منزله يمكن أن يكون محايداً. وتبعها عبر الردهة على مضض، فقالت:
ـ حسناً.. ماذا تريد أن تقول؟
ـ أين كنت بعد الظهر؟
ـ في الخارج.
ـ مع من؟
ـ لا أحد.
ـ أتريدين مني تصديق أنك كنتي تتجولين دون هدف في الشوارع؟.
لن تغادري هذه الغرفة قبل أن تقولي لي يا لورا. أين كنت ومع من؟
ـ هذا ليس من شأنك!
ـ وأين كنت بالأمس؟ واليوم الذي قبله واليوم الذي سبق؟
ـ في الخارج.. الخارج.. الخارج!
ـ وكل مرة مع رجل مختلف؟ هل هكذا تمضين أيامك.. تقومين زيارة البيوت!
للحظات لم تعي معنى هذه الكلمات، ولكن عندما فعلت، غطى الرعب على كل مشاعر أخرى. هل هذا هو نوع الفتيات التي يظن أنها تكونه ليس كفتاة متحررة كما الآخرين في هذا العقد من الزمن، بل في الواقع... ولم تستطع الاستمرار بهذه الافكار.. وقال بوحشية:
ـ لا تظهري هذه البراءة. أعرف تماماً ماذا تفعلين بنفسك. لقد كلفت من يراقبك في الأيام الأخيرة!

ـ ولماذا؟ ماذا فعلت لتظن بي . . .

ووضعت قبضة يدها على فمها، ورفرفت عيناها لتمنع الدموع من التساقط. فقال بصوت عاصف:

ـ لانني رأيتك في فندق الهيلتون وأنت تخرجين مع رجل من المصعد.

وأعادت كلماته الذكرى إليها، كانت قد ذهبت إلى هناك لتصوير أطفال طبيب سويدي. عائلته كانت تزور روما، وشاهد صوراً من إنتاجها عند أصدقاء وتوسل إليها كي تقوم بتصوير أطفاله قبل سفرهم. وقد أصرّ الأب أن يرافقها في المصعد، ويوصلها بنفسه الى السيارة.

ـ هناك عدة مطاعم في العديد من طوابق الهيلتون، فلماذا افترضت أنني في غرفة نوم رجل؟

ـ لانه من غير المحتمل أن تغادري المطعم عند الخامسة والنصف، إضافة إلى أننا كنا قد تغدينا في القصر ذلك اليوم.

وتنهد عميقاً:

ـ لم أشك بك يومها، بل بعد ذلك. . عندما وصلتني التقارير الأخرى.

ـ من جواسيسك؟

ـ ليسوا من الرسميين. لا أستطيع أن أفضح نفسي أمام وكالة تحريين لقد كلفت السائق بهذا.

ـ وهذا أفضل لك بالطبع! أعني من الأفضل لك أن تجعل أحد خدمك يتجسس عليّ بدل تحرٍ لائق. وماذا اكتشف هذا التابع المخلص؟

ـ إنك في الشهر الفائت قد زرت عدة شقق ومنازل. بعض الأحيان تعودين إليها وبعض الأحيان لا.

ـ هذا يتوقف على ما إذا كانت خدماتي أعجبتهم أم لا.

ـ لا تمزحي حول الأمر يا لورا! ألا تشعرين بالخجل؟

ـ بالطبع أشعر بالخجل. . بالخجل منك يا روبرتو، بالخجل لأن لديك مخيلة مثل مخيلة المنحرفين! لقد كرهتك من قبل يا روبرتو ولكنك الآن تثير اشمئزازي!

ـ وماذا تظنين أن بإمكانك أن تفعلي؟

ولذعتها عيناه كأنهما سوط من الجلد. وأغرقت المرارة نفسها. لا يمكن تصديق أن روبرتو يستطيع التفكير بهذا. لا بد أنها تواجه كابوساً، ولو قرصت نفسها سوف تستفيق منه. وغرزت أظافرها في راحة يدها، ولكن الألم لم يغير المشهد، فلا زالت في غرفة الجلوس معه وكأنه إله الانتقام وقالت ببطء:

ـ لقد تسلطت عليك كراهيتي حتى أنك لم تعد تقدر أن تفكر بالمنطق.

كان عليك سؤالي أولاً. ولكنت وفرت على سائقك عناء التجول في الشوارع.

ـ لم أكن أنوي أن أقول لك. ولكن اليوم. . أنا. . لقد شاهدتك اليوم بنفسي ثانية. لقد كنت عائداً إلى القصر عندما تجاوزتني، ولسبب ما ادرت السيارة ولحقت بك.

ـ وشاهدتني أدخل قبلا في إحدى ضواحي روما.

ـ رأيت رجلاً يفتح لك الباب، ونفس الرجل رافقك عائدة إلى السيارة. وأمضيت هناك ساعتين.

ـ ساعتين وعشر دقائق! هل تريدني أن اخبرك ماذا كنت أفعل؟ لقد كنت أتقلب فوق الارضية هناك مع شخصين. كنت مستلقية على السجادة أحاول أن أجعلهما يضحكان.

ـ اصمتي! لا أريد أن أسمع.

ـ إذاً سأريك بدل أن تسمع.

وأعماها الغضب وأسرعت الى النافذة، وجذبت الستارة وأخرجت المغلف ورمته به عبر الغرفة.

ـ افتحه! افتحه وشاهد بنفسك ماذا كنت أفعل كل يوم.

ولم يكن بحاجة لهذا، فعندما اصطدم به المغلف انفتح ووقع على الأرض، وخرجت منه مئات الصور وانتشرت تحت قدميه. أطفال بلباسهم، ودون لباس، أطفال يضحكون وآخرون يبكون، واقفون ومستلقون. أطفال في مئات الأوضاع. وبآلاف الانطباعات المختلفة.

وبذهول أخذ يحدق بالصور، وبحركة بطيئة، انحنى والتقط مجموعة منها. ونظر إليها واحد واحدة، عندما شاهدته عرفت لورا ما معنى «شبح الموت»: كل الألوان هجرت وجهه. حتى عيناه بدتا كالأموات عندما رفع رموشه المثقلة لينظر إليها. وبينما هي تراقبه، عادت الحياة إلى القناع. وأسرع اللون إلى بشرته ثانية، محولاً إياها إلى لون الليمون، ثم الزهر، فالأحمر القاتم، ثم الأحمر المؤلم. وافترت شفتاه، ولكن لم يصدر صوت من بينهما، وشاهدت عضلات حنجرته تتحرك وهو يحاول أن يتكلم ثم يفشل. ولكن لا شيء يقوله من الممكن أن يفيد. فاتهاماته اليوم تجاوزت كل الإهانات التي أمطرها بها في الماضي، ولا يمكن لأي اعتذار أن يمحي ما كان يعتقده بها.

ـ إذا أحببت سأعطيك أسماء كل زبائني. ولكن الرجلين الشابين اللذين زرتهما اليوم ما زالا في الكاميرا.

واستطاع أخيراً أن يجد صوته، ولم يكن يشبه أي شيء تعرفه، مجرد صوت لا معنى له:

ـ لا تفعلي هذا! أنا... أنا.. لورا.. ماذا أستطيع أن أقول؟

ـ لا تقل المزيد، ولا كلمة أخرى.

ورفعت رأسها بكبرياء، ومرت من أمامه، وقد عادت إليها السيطرة

على نفسها. وسمعته يتمتم باسمها، ولكنها لم تلتفت، حتى عندما ناداها ثانية، تابعت طريقها.

عندما وصلت إلى غرفتها، تخلى عنها هدوءها. ولكنها أجبرت نفسها على تجاهل ارتجاف أطرافها، وفتحت الخزانة الواسعة، وأخذت حقائبها. لم يكن لديها الكثير لتوضبه بها. سوف تبقي الملابس التي اشترتها لها الكونتيسة حيث هي. وستترك معدات غرفة التظهير ليفككها الكهربائي وليشحنها لها الخدم. شيء واحد له أهمية كبرى ستتركه خلفها: ابن أختها.

ووقف تنفسها في حلقها، والدموع التي حبستها بلّلت رموشها. ومع ذلك فلم تتركها تنهمر، لأن أمامها الكثير لتعمله. ووضبت أول حقيبة، ثم الأخرى، ولحسن الحظ المال لن يكون مشكلة في القريب العاجل، لأنها تقاضت أتعاباً مرتفعة لما قامت بتصويره، تبعاً لنصيحة السيدة وليامز.

وكانت تقفل الحقيبة الثانية عندما سمعت دقاً على الباب. وقفز قلبها من مكانه، ولكنه توقف عن الخفقان عندما سمعت صوت الخادمة تقول إن الكونت والكونتيسة ينتظرانها على العشاء.

ـ لن أتناول العشاء، أرجوك قولي بإنني مصابة بصداع قوي.

ـ هل ترغبين في تناول شيء في غرفتك سنيورة، سأجلب لك صينية طعام.

ـ لا.. شكراً.

وبقيت دون حراك، إلى أن ابتعدت أصوات أقدام الخادمة، ففتحت الباب وسارت على رؤوس أصابعها نحو جناح الطفل.

كانت روزا تتناول عشاءها، وقفزت واقفة عندما دخلت لورا. وأشارت إليها أن تتابع طعامها، ودخلت إلى غرفة نوم الصبي، آملة أن يكون نائماً. فلو أنه كان صاحياً ومد ذراعاه لتحمله فستنهار. ولكن

القدر جعله ينام. برغم كل منظره الملائكي، أستطاعت أن تسيطر على الحب الذي تشعر به نحوه. ومع ذلك لم تستطع لمس وجهه بشفتيها خوفاً من تأثير رائحته عليها.

وتراجعت إلى الخلف، وهربت إلى غرفتها، يجب عليها أن تغادر القصر بينما روبرتو ووالدته في غرفة الطعام. فلو انتظرت إلى أن يغادراها فقد يسمعانها وهي تذهب. حقائبها ثقيلة وخافت أن تنزلها من السلم الرئيسي، فأخذتها ونزلت من السلم الملتف الصغير الذي يستخدمه الخدم. وهذا ما أوصلها الى قرب أحد الأبواب الجانبية التي تقود نحو الكاراج، ووضعت حقائبها في السيارة وجلست خلف المقود، وعضت بشدة على شفتها وأخرجت السيارة من الكاراج.

لم تتذكر لورا الكثير من رحلتها نحو المطار، حتى أنها لم تفكر في أن تتصل لتعرف ما إذا كانت هناك طائرة متجهة إلى لندن، إذا لم يكن هناك، فستأخذ أي طائرة تخرجها من روما. ولحسن حظها وجدت طائرة إلى لندن، بعد نصف ساعة من وصولها إلى المطار. فاوقفت السيارة في الموقف، واتصلت بالخادم في القصر لتبلغه أين يستطيع أن يجد السيارة.

ولم تفكر بشيء حتى أصبحت الطائرة فوق المدينة الخالدة، فأغلقت عينيها، كل لحظة من اللحظات الآن، تبعدها عن روبرتو وعن جوليو. ماذا ستفعل لو أنه منعها من رؤية ابن اختها ثانية؟ ولكن لا.. هذا مستحيل. فروبرتو سوف يشعر بذنبه لاتهاماته الزائفة لها، بحيث أنه سيفعل كل شيء ليعوضها. وتنهدت بعمق، متسائلة كيف سيشعر لو أنه اكتشف أنها توأم ماري. من المؤسف أنها لم تخبره بهذا الأمر ايضاً. ومع ذلك، وبطريقة ما، لم يعد الأمر مهماً لها، فلا شيء مما يعتقده بها قد يؤثر على مستقبلها.

وما الفارق في أنها لورا أو ماري؟ في هذه اللحظات شعرت بقربها أكثر من شقيقتها، ماري، اللعوب، المحبة، والتي لا يمكن لروبرتو أن يفهمها أبداً.

فتاة سخية بروحها، سخية في حبها. سخية كثيراً، ربما. ولكن من الأفضل كثيراً أن تكون هكذا، بدل أن تكون غير محبة إطلاقاً، مثل ذلك القاسي الظالم... روبرتو.

☆ ☆ ☆

www.rewity.com

١٤ ـ لن أنظر إلى الوراء

مع أن من الطبيعي أن تفكر لورا بالعودة إلى شقتها التي كانت تشارك بها ليندا، إلا أنها تعرف أن روبرتو قد يأتي ليطلب منها الغفران، وبما أنها لن تطيق رؤيته ثانية، فقد استأجرت شقة مفروشة في الطرف الآخر من لندن، وقالت لصديقتها «الخادم سيرسل لي معدات التصوير على عنوانك، وعندما تصل.. سأحضر لاستلامها».

ـ وعندما يحضر كونت دراكولا.. ماذا سأفعل به؟

ـ أي شيء تحبينه، ما دمت لن تخبريه أين يجدني. يجب أن تعديني بهذا.

ـ وهل عليك أن تطلبي وعداً؟ بعد تصرفه معك لن أدله على موقف الباص حتى! ولكنني أشعر بالأسف لانك لن تسكني معي. ما رأيك أن أنتقل للسكن معك؟ سيسعدني التخلص من هذا المكان.

ـ سأحب هذا كثيراً. فالسكن لوحدي سيجعلني تعيسة.

ـ وماذا بخصوص بيدرو؟ مع ما قلتيه لي، من المؤكد أنه سيأتي ليلاحقك!

ـ سأقرص أذنه لو فعل.. فلم يعد هناك ما يبتزني به لأخرج معه.

ـ أعتقد أنه واقع بحبك.

ـ ولكنني لم أقع بحبه.

ـ عليك أن تكوني جادة مع شخص ما، يوماً ما. لا تستطيعين الاستمرار بتذكر روبرتو ماسيني.

ـ لا أريد التحدث عنه أبداً.

ـ وهل يمكنك التوقف عن التفكير به أيضاً؟

ـ سأحاول.. سأعمل جاهدة إلى أن أقع من التعب. إنها أفضل طريقة لنسيان رجل.

رغبة لورا بالعمل المرهق، تحققت بسرعة لم تتوقعها. في خلال أسبوع، طُلب منها تصوير مجموعة إزياء جديدة، ومجموعة أدوات تجميل أخرى، وأمضت نهاية الأسبوع في منزل نجم معروف لتصوره في أوقات فراغه. وعادت متأخرة إلى لندن ذلك الأحد، وانهارت في الفراش مرهقة، عندما اتصلت بها ليندا لتقول إن السيد بوب ساندز اتصل بها «قال إنه صديق السيدة وليامز في روما، ولكنني لم أرغب في إعطائه رقم هاتفك، إذ يمكن أن يكون روبرتو ماسيني متنكراً!».

ـ روبرتو لا يعرف السيدة وليامز. على كل إنه ليس من النوع الذي يستخدم اسماً مستعاراً.

ـ إذاً الافضل أن تتصلي بالرجل. يبدو أنه مهتم بالاتصال بك.

أول ما فعلته صباح الاثنين أن اتصلت بالرجل في فندق كلاريدج حيث يقيم، ودعاها فوراً لتناول الغداء معه، ولكنها قالت إنها مشغولة طوال النهار فاقترح عليها العشاء. وفي الثامنة مساء دخلت الصالون في الفندق، ليقابلها رجل طويل ونحيل في أواسط الاربعين، قال لها:

ـ لنطلب العشاء قبل أن نتكلم عن العمل.

وشرح لها ماذا يريد منها عندما كانا يشربان بعض المرطبات.

ـ أنا ناشر، وقد أرتني السيدة وليامز بعض الصور التي التقطيها لأطفالها، ثم رأيت العديد منها فيما بعد. في حفلة أقامتها على شرفي. هذه الصور أعطتني فكرة كتاب. كان هناك كتب شبيهة به، ولكن أعتقد بأننا نستطيع تحسينه.

ـ كتاب لصور الاطفال؟ لقد فكرت بهذا ايضاً، ولكن من يرغب في شراء مثل هذا الكتاب، ما عدا من له صور فيه؟

ـ دعيني أشرح لك فكرتي.

الفكرة كانت بسيطة، مجموعات من صور الأطفال، كل مجموعة لها عنوان وتعليق مميز. وتُوضع هذه قرب صور لراشدين، يبدو عليهم نفس الانطباع، تؤخذ من واقع حياتهم الطبيعية.

ـ ومن أين ستحصل على مثل هذه الصور؟

ـ منك أنت. سيكون أمامك كمية عمل هائلة، وكمية مال هائلة أيضاً.

ـ ليس المال وحده ما يهمني سيد ساندز. فأنا أحب ان أصنع اسماً لامعاً لي..

ـ إذا نجح هذا الكتاب فستحصلين على الاسم. أنت والكاميرا ستكونان موضع طلب أينما ذهبتي..

إنها فكرة أخاذة، وقبل أن تنتهي الأمسية كانت قد وافقت على العمل بالكتاب.

ـ سأحضر عقداً وأرسله إلى مدير أعمالك.

ـ ليس عندي مدير أعمال، ولكنني سأكون سعيدة جداً إذا تركت الأمر لك.

ـ لا تثقي أبداً بناشر، إذا لم يكن عندك مدير أعمال، دعي محاميك يهتم بالأمر.

كان الوقت منتصف الليل، عندما أوصلها إلى منزلها، وطلب من

التاكسي الانتظار حتى يوصلها إلى شقتها في الطابق الأول. وبدا معجباً بالمنزل القديم الكبير، ودعته لتناول العشاء معها في أي يوم يختار.

ـ لا أريدك أن تطبخي لي.. سآخذك أنا إلى العشاء.

وودعها، ثم دخلت شقتها وقد تملكها شعور بالرضى، لم تشعر به منذ زمن. كان رجلاً فاتناً، روحه المرحة مثل مظهره الجذاب ولكن مع دفء ملحوظ ستحتاج إليه بالتأكيد.

خلال الأسبوع استمرت لورا بمقابلة بوب يومياً. وسافر إلى الولايات المتحدة يوم الأحد وأوصلته الى المطار، وهي تشعر أنها ستفقد صديقاً. وقال لها وهو يمسك بيدها مودعاً.

ـ هل تمانعين لو عدت لرؤيتك؟

ـ سأكون دوماً مسرورة برؤيتك عندما تأتي الى لندن.

ـ بالنسبة للعمل، لست بحاجة للعودة قبل ستة اشهر، ولكن لو قلتي لي، سأكون سعيداً بالحضور كل شهر.

وشعرت بالإحراج، ولم تدر ماذا تقول. لقد أعجبها، ولكنها لا تستطيع إلزام نفسها. فروبرتو لا يزال قريباً منها جداً. حتى عندما تتذكر اسمه بصمت، كان ذلك كلسع السوط لها. وقال بوب بنعومة:

ـ فكري بالأمر..

ثم ذهب عبر البوابة، وقبل أن يستدير عند المنعطف، التفت ولوح لها. يوماً ما سوف تبدأ التفكير بمستقبلها، ولكن ليس الآن.

العودة الى شقتها الخالية، كان أكثر مما ستتحمله، فذهبت عند ليندا، التي كانت ترتاح يوم الأحد في المنزل. وجلست الفتاتان بكسل تشاهدان التلفزيون وتشربان القهوة وتأكلان بعض السندويشات، وحاولت لورا عدم التفكير بما كانت ستفعله في مثل

هذا الوقت لو بقيت في روما. وسألتها ليندا خلال فترة الإعلانات على التلفزيون:

ـ ماذا ستفعلين بخصوص روبرتو؟.. إنه يتصل بي كل يوم لمعرفة رقم هاتفك.

وقفزت لورا من مكانها وكأن دبوساً قد وخزها.

ـ أنا ذاهبة.

ـ لا تكوني حمقاء. لا يمكن له أن يأتي اليوم، وحتى لو اتى، لن أدعه يدخل... لن تستطيعي الهرب منه إلى الأبد. الشيطان المسكين يريد أن يعتذر، ولا أرى سبباً لرفضك. قد يقدم لك هدية لطيفة للتعويض عن إهاناته لك.

ـ لا أريد شيئاً منه.

ـ حتى ولا جوليو؟

ـ حتى ولا جوليو. لا أستطيع أن أمنحه منزلاً مناسباً وأنا أعمل، بهذا الخصوص روبرتو على حق. على كل ستكون حياته رائعة في القصر. فروزا والكونتيسة تعبدانه. سينمو بينهما وكأنه أمير صغير.

ـ وماذا بخصوص صاحب الفخامة؟ كيف يتصرف مع ابن اخيه؟ هل يربت على رأسه مرة في الأسبوع؟

ـ إنه يحبه. يدخل جناحه دائماً ليحمله، وسيحبه جوليو. لن يستطيع إلا أن يفعل.

ـ وأنت كذلك.

ـ سأنساه، وسأفعل.

ـ لن تنسيه إذا استمريت بالهرب منه، يجب عليك أن تريه يوماً ما، فلماذا لا يكون هذا الآن؟ أم انك ستتخلين عن جوليو نهائياً؟

ـ بالطبع لا.. ولكن عليّ أن أمنح نفسي بعض الوقت.

ـ لا زلت أشعر بالغضب داخل نفسي.

ـ ستشعرين بشكل أفضل لو سمعت اعتذار روبرتو. ليس هناك شيء مثل رؤية رجل يتذلل لاستعادة ثقة امرأة فيه. صدقيني أنا اتكلم عن تجربة.

وضحكت لورا، لإنها تعرف أن هذا بعيد عن الحقيقة، ولكنها لاحظت أن ليندا تحاول أن تقنعها. وفي طريق عودتها إلى شقتها فكرت بحذر، وقررت أن تنتظر اسبوعاً بعد، ثم تكتب للكونتيسة.

كم هو غريب اشتياقها للتحدث مع المرأة. فمع أن حياة الكونتيسة ونشأتها مختلفة تماماً عن حياتها ونشأتها، فإن القصص التي روتها لها عن طفولتها وشبابها، كانت تنقل لورا الى عالم الخيال الذي لم تعلم ابداً أنه موجود. ولكن، إنه عالم سينمو فيه جوليو، وإذا لم ترغب في أن يكون مختلفاً تماماً، فيجب عليها أن تصالح روبرتو. سيكون أسهل عليها أن تقابله بعدما يتزوج، لأنه سيكون عندها بعيداً تماماً عن حياتها كالنجمة في السماء.

في الصباح، ذهبت مباشرة إلى معرض الأزياء لإعادة تصوير بعض الفساتين من المجموعة المعروضة هناك.

واعتذر صاحب المعرض قائلاً:

ـ طلبي إعادة تصويرها ليس لأنني لم أحب صورك، ولكن بعضاً منها لم يكن له أسلوبك المعتاد.

ـ لم أكن أشعر بالراحة عندما عدت من روما. وأظن أن هذا أثر على عملي.

ـ لا.. فعملك دائماً جيد.

ـ لا أمانع بالانتقاد. وسأكون سعيدة لإعادة التصوير.

ـ متى أستطيع رؤية الصور. مجلة الأزياء الشهرية ستأخذ بعض الصور المنتقاة إذا حصلت عليها صباح الغد.

ـ لن تكون الصور جاهزة في هذا الوقت. ليس عندي غرفة تظهير لائقة بعد، وأنا أتدبر أمري.

ـ يجب أن أراها الليلة.. سأسافر عند الصباح وأعود في المساء إلى مكتبك، وأختار ما يعجبني منها ثم تظهرينها لي.

ـ سأعمل طوال بعد الظهر ولن أتمكن من تظهيرها قبل العاشرة مساء.

ـ هذا ليس وقتاً متأخراً بالنسبة لي.. سأحضر إلى شقتك.. لورا، لا يضايقني أن تظني أنني أحاول التقرب منك. ولكنني هذه الأيام عندما يكون لديّ وقت لا يكون لديّ الرغبة، وعندما يكون لديّ الرغبة لا أجد الوقت اللازم!

فضحكت وكتبت عنوانها على ظهر مغلف.

ـ سأفعل هذا من أجلك فقط، ولكن لا تأتي قبل العاشرة لأن الصور لن تكون جاهزة.

بعد الظهر كان شاقاً عليها، وعندما عادت إلى شقتها، صعدت الى سريرها وجذبت الغطاء فوق رأسها. ولكن بما أنها وعدت بتجهيز الصور، فلن تستطيع الإخلال بوعدها، وبعد أن استحمت، ارتدت بنطلون جينز وكنزة ودخلت إلى غرفة التظهير المؤقتة لتعمل بالصور.

عند التاسعة والنصف كانت الصور جاهزة لتجف، وخاطرت في أن تختار ما أعجبها وطبعته. لو أنه اختار صوراً أخرى فسيكون الأمر سيئاً. وقاومت تعبها ودخلت المطبخ لتحضر لنفسها شيئاً تأكله، وحضرّت كوباً من الحليب، مع قطعة خبز وجلست على الأريكة في غرفة الجلوس.

ودق الجرس، فتثاءبت ووضعت كوب الحليب، لقد وصل الرجل في الوقت المحدد. ودق الجرس ثانية بحدة أكثر، ووضعت يدها على فمها وهي تتثاءب، وذهبت عارية القدمين لتفتح الباب.

ـ لحظة من فضلك!.

وفتحت الباب واستدارت على الفور إلى غرفة التظهير.

ـ ادخل والقي نظرة على الصور، إنها جاهزة.

وبلغت باب غرفة التظهير عندما جعلها صمت الرجل غير المعتاد تلتفت لترى ما الأمر. وجف الدم في عروقها عندما رأت الرجل الذي يقف أمامها. هل هو شبح أخرجته مخيلتها؟ ولكن الأصابع التي أمسكت بذراعها كالفولاذ ليست أصابع شبح، ولا ذلك الصوت الذي تكلم بنعومة في أذنها.

ـ هل ظننت أنني لن أجدك يا لورا؟

وسحبها روبرتو من الضوء الاحمر لغرفة التظهير، لتقف تحت الضوء اللامع للردهة. وتحركت عيناه ببطء من شعرها الأحمر المتجعد إلى قدميها العاريتين الظاهرتين تحت بنطلونها الجينز. ثم عادتا لتستقرا على فمها الأحمر الممتلىء، الخالي من أحمر الشفاه ومع ذلك يبدو جميلاً، ثم الى عينيها الخضراوين، والبؤبؤان متسعان من الخوف وكأنها قطة مجفلة.

ـ غريب أن تأتي اليوم، كنت قد قررت أن أكتب لك.

ـ وهل سترسلين بطاقة في عيد ميلادي الستين؟

وتطلعت إليه ملياً، ولم يكن السرور بادياً على وجهه، حاجباه مزمومان فوق عينيه، واللمعان مختفٍ منهما. وكأنما سواد أفكاره قد جعلهما معتمتان. واستطاعت أن تلاحظ أثر الليالي التي قضاها من غير نوم، لأنها أضفت على وجهه ظلالاً من السواد والتعب، وحفر غائرة فوق عظام فكه. ولكن ذلك أضفى عليه صفة حنونة، جعلتها تشعر بضعف في ركبتيها. وحاولت التراجع عنه، ولكنها، وعندها فقط، لاحظت أنه لا يزال يمسك بها.

ـ أنت تؤلمني يا روبرتو.

وتركها فوراً، وفركت ذراعها مكان أصابعه حيث الجلد أصبح بلون أبيض. وقال بهدوء:

ـ أنا دائماً أؤلمك. إنه الشيء الوحيد اللعين الذي فعلته لك ابداً.

ـ انسى الأمر. يجب علينا أن نتقابل دوماً من أجل جوليو... والتحدث بالماضي لن يفيد أي منا.

ـ هل نجلس في مكان ما، أم نبقى هنا واقفان؟

ـ ليس لديّ شيء آخر أقوله.

ـ إذاً تستطيعين أن تصمتي وتستمعي.

واستدار بعنف وسار نحو الغرفة المقابلة، ليقف عندما أدرك انه سيدخل غرفة النوم. فتمتم «لا بد أن عقلي الباطن قادني إلى هنا» وللمرة الأولى ذلك المساء، ابتسم، ولكن الابتسامة اختفت على الفور، والتعبير المؤلم عاد ثانية إلى وجهه. وقررت لورا ان تتصرف بلياقة، فأشارت إلى غرفة الجلوس، وسألته إذا كان يريد أن يشرب شيئاً. فهز رأسه وجلس على المقعد، ليقفز على الفور وكأن أفكاره لم تترك له فرصة الراحة.. وسألها:

ـ لماذا لم تخبريني عن ماري؟

وفاجئها السؤال ونظرت إليه دون حراك، فقال موضحاً:

ـ لقد أخبرني بيدرو. لقد أتى إلى القصر ليلة تركتيه.

ـ كان من المفترض أن أذهب معه لعرض أول لأحد الافلام.

ـ أعلم هذا. عندما وجد أنك ذهبتي، بقي هناك لرؤيتي.

ودار دورة كاملة حول الغرفة بعنف وغضب:

ـ لماذا لم تقولي الحقيقة عندما قابلتك أول مرة؟

ـ لأنك كنت ستأخذ جوليو مني.. لا تزعج نفسك بالنكران.

ـ أنت على حق.. ولكن فيما بعد، عندما كنت تعيشين في القصر، وعرفت شعوري تجاهك؟

ـ كنت أعرف أنك تكرهني.

وارتفع صوتها، ولكنها سرعان ما سيطرت عليه، فصاح:

ـ لقد أردتك!

ـ ولكنك كنت لا زلت تكرهني. وكرهت نفسك لأنك تريدني.

ـ انا لا أكرهك يا لورا!

ـ لقد قلت هذا بنفسك.

ـ لقد قلت أشياء حمقاء كثيرة وأنا غاضب. لم أكن أفهمك، لقد حيرتيني وجعلتيني أغضب. كان هناك أشياء تبدو غير حقيقية حولك، ولكنني لم أستطع التكهن بها. وعندما أخبرني بيدرو الحقيقة، بدا لي كل شيء في مكانه الصحيح. ولكن قبل هذا لم أكن استطيع التفكير بك سوى أنك مثل «جيكل وهايد».

ـ وبما أنك الآن اكتشفت أنني نقية مثل الثلج المتساقط، جئت لتعتذر؟

ـ اجل...

وتوقف عن السير، ووقف أمامها.

ـ سأركع عند قدميك، إذا كان هذا سيشكل فرقاً لك.

وهزت رأسها نفياً وقد غمرها شعور بأنه يعني ما يقول.. روبرتو ماسيني يركع عند قدميها! إنها فكرة لا تصدق.

ـ أقبل اعتذارك يا روبرتو! سيكون أمراً سيئاً على جوليو إذا لم نكن على وفاق.

ـ انسي جوليو الآن. لا أهتم سوى بك وبي، وبمستقبلنا.

ـ ليس بيننا مستقبل يا روبرتو. لن أكون سعيدة أبداً مع رجل أساء الحكم عليّ كما فعلت أنت.

ـ لا تستطيعين الاستمرار بلومي على هذا. لقد أعميتني عن الحقيقة متعمدة. لقد تظاهرت بانك ماري، وأنت تعرفين جيداً سمعة شقيقتك.

ـ لقد أحبت جوليانو..

ـ ولكنها كانت مختلفة عنك، فلماذا تظاهرتي بالعكس؟

ـ لقد كنا توأمين.. لقد كنا حبتي فول في وعاء واحد، والفول من وعاء واحد له نفس الطعم. لقد قلت هذا بنفسك يا روبرتو، ألا تتذكر؟

ـ أتذكر ايضاً أنك فعلت أشياء كثيرة لتحيريني، فعندما بدأت انظر إليك كبريئة، عندما ظننت أن الأقاويل من حولك خاطئة، بدأت الخروج مع بيدرو.

ـ لأنه هدد بفضح أمري وقول الحقيقة لك.

ـ ماذا؟ لو عرفت هذا من قبل لقتلته. ولكن معرفتي أنك معه، ومعرفتي اي نوع من الرجال هو، جعلني أعتقد أن ظني بك خاطىء. في الرسائل التي كتبتها ماري لأخي، قالت إنها تحبه من كل قلبها. ومع ذلك، فبعد أشهر قليلة من وفاته كنت تعبثين مع عشيق سابق. ولكنني أعرف الحقيقة الآن، وقد اختلف الامر. لقد كنت ممثلة ممتازة يا لورا.

ـ يبدو أنني كنت ممتازة أكثر من اللزوم.. ولكن ما من شيء فعلته وحتى فعلته ماري، يعطيك الحق بالظن بهذه الظنون الفظيعة.

ولم تستطع ذكر الظنون، مع أن اللون تصاعد إلى وجهها، بإشارة واضحة إلى أنها تعني ما تقول. فقال همساً:

ـ لا أستطيع الاستمرار بالحياة مع تذكري لما قلت. يجب عليك أن تغفري لي يا لورا.

التعبير على وجهه كان تعبير معذب، ولم تستطع النظر إليه دون الشعور بالحزن. ولكن، ولأنها تحبه، الغفران كان أصعب.

ـ لورا.. عندما تكلمت معك، قبل أن تريني تلك الصور، كنت قد صممت أن أتزوجك.

ونظرت إليه غير مصدقة، ومد يديه كالمتوسل:

ـ إنها الحقيقة، اضحكي عليّ لو شئت، ولكنني أقسم أنها الحقيقة، مع أنني كنت أؤمن أنك فتاة لا أخلاق لها. لقد أحببتك كثيراً حتى أنني صممت أن أتزوجك، وكنت واثقاً أن حبي من القوة بحيث يغيرك.

فقالت بمرارة «المصلح الكبير».

وقال بخضوع «بل رجل واقع في الحب، أمل أن ينجح حبه حيث فشل كل شيء آخر. أرجوك لورا.. على الأقل لنكن أصدقاء».

ـ لا استطيع.. إنه...

ودق جرس الباب فأسرعت إليه وهي تقول:

ـ لقد أقبل احدهم لياخذ بعض الصور.

ودخل صاحب المعرض إلى الشقة وقال:

ـ آسف لتأخري، ولكنني نمت أمام التلفزيون.

وانتظر أمام غرفة التظهير بينما جمعت لورا الصور له ثم أدخلته غرفة الجلوس حتى لا تبدو أمامه فظة، وقدمت الرجلين لبعضهما، وكان متفهماً فوافق على الصور التي اختارتها وشكرها وغادر الشقة.

وعادت إلى غرفة الجلوس لتنظر الى عينيه، وترى نفسها فيهما، واستطاعت أن تفهم العذاب الذي عاناه عندما أدرك أنه واقع في حب فتاة فيها كل الصفات المكروهة، ومع ذلك استمر في حبها.

على الرغم من أنه كان دائماً يجد اختلافات ما بين ما يظنها عليه وما اكتشف انها عليه، وكلما وجد اختلافاً، لعبت دوراً لتصعب الأمور عليه. مسكين روبرتو، لا عجب أنه ضاع! وعندما بدا أن رغبتهما في بعضهما قد تمحو كل شيء، ظهر بيدرو، جالباً معه شكوكاً أكثر في نفس روبرتو.

ولكن هذا لم يكن كل شيء، فهناك تحركاتها الغامضة بعد ظهر

كل يوم. لقد كانت سعيدة بنفسها في السيارة الحمراء الصغيرة والكاميرا معلقة في علبتها، وهي ذاهبة لتصور الأطفال وابتساماتهم، لا قلوب الرجال كما كان يظن. تضارب الوضع أظهر لها الوجه المضحك له، وبدأت تضحك في البداية كانت ضحكة خفيفة، ولكنها بعد ذلك كبرت لتصبح مرتفعة ثم بعد قليل القت رأسها على ذراع الكرسي، والدموع تنهمر على وجهها من الضحك. فسألها روبرتو متعجباً:

ـ ما الأمر؟

وحاولت أن تخبره لماذا تضحك، ولكنها لم تستطع أن تتكلم، وأمسك بكتفيها وهزها بعنف. واستمرت بالضحك، فرفع يده وصفعها على خدها. واهتزت اسنانها، ولكن الضحك توقف، وامتلأت عيناها بالدموع، وقالت وهي تنتحب:

ـ لقد فعلت بي الآن شيء. حتى أنك ضربتني!

ضربتني! وأنزل يده بسرعة، فصرخت وتعلقت به.

ـ حبيبي روبرتو، كنت أضحك عليك. ولكن لا تطلب الشرح مني الآن. سأقول لك في وقت آخر.

ـ وهل سيكون عندنا وقت آخر؟

وامسكها من خصرها وهمس.

ـ هل تعنين هذا يا محبوبتي؟ هل ستتركيني أتودد إليك وأعلّمك ان تحبيني؟ سأكون صبوراً معك يا لورا، عودي فقط إلى القصر وعيشي معنا هناك.

ـ كزوجة أخيك؟

ـ لا.. بل كشقيقة ماري.

ـ وماذا ستقول لأصدقائك؟

ـ سنجد طرقاً للمزاح حول الأمر. إضافة إلى أن الناس لا يسألون عما يقوله روبرتو ماسيني.

ـ ولا حتى اوليفيا؟

ـ ستكون مسرورة لنا.

ـ لا تكن سخيفاً!

ـ اوليفيا ليست مهمة يا ملاكي، أنا لم اطلب من امرأة أن تتزوجني من قبل.

ـ أعلم هذا.. وأنا لا زلت منتظرة.

ـ لن أطلب منك الزواج حتى أتأكد أنك تحبيني بالقدر الذي أحبك فيه. لأنك عندما تقولين نعم.. سأستدعي رجل الدين على الفور.

ـ اذاً.. بعد ثلاثة أسابيع من الآن.. سأكون الكونتيسة ماسيني!

وتألقت عيناه وكأنهما جوهرتين من الزمرد ولكن قبل أن يتكلم عانقته قائلة:

ـ سيكون لديّ أنت وجوليو، يا حبيبي روبرتو. وماذا أطلب أكثر من هذا؟

ـ طفل خاص لنا.

ـ بل أطفال..

ـ ليس بهذه السرعة، أريدك لنفسي أولاً. فأنا مشتاق لك كثيراً يا لورا..

ـ بعد سنة إذاً. عندما تخف رغبتك بي.

ـ لن تخف رغبتي ابداً. كلما رأيتك ستزداد.

ـ وهكذا أريدك على الدوام.

وارتمت بسعادة بين ذراعيه.

النهاية